

رواية

# ابنُ الذئبِ

توحيد هارون نوية

## الإهداء

الى تلك النجوم الساطعة التى تضىء لنا الطريق دائما :  
الصحفي الكبير الأستاذ : أمير عبدالماجد  
الى روح الراحل المقيم حبيبو : نادر خضر  
أستاذي العزيز الصحفي المتميز : أحمد كنوز  
الكاتب الرائع دوما أستاذي : محمدنور عبدالله رمضان  
صديقتي الحبيبة الصحفية : إشتياق عبدالله

توحيد هارون

## المقدمة

هناك خلف تلك الغيوم البعيدة تكمن سعادتنا الابدية ..  
لنحلق بين الطيور بعيدا الى عوالم من الرحمة ..  
وجوه .. طرقات .. وليل طويل ..  
غربة الروح والحياة تسكن آلاف النجوم لتلمع بالورود ..  
من الحرائق يولد الفجر الجديد ..  
من الدمار والخراب تشرق شمس الحياة ..  
الإنكسار سم قوي المفعول يسري بين الأجساد اليائسة المحطمة ..  
إن كنت هنا .. أم هناك .. شمعة الخلاص أنا .. وأنت ..  
آخرون في الهاوية وآخرون في النعيم  
الحياة حق للجميع ..  
فمن الخطأ أن تحمل على عاتقك ذنوب شياطين ..  
إن إتحد البشر على سلبي الحياة .. الله قادر على منحي لها ..  
لا الشوارع .. لا الوحوش .. يسلبون شرفا وكرامة منحي الله إياها في  
الحياة الموجزة .  
الملائكة تبقى ملائكة والشياطين شياطين ..  
الملائكة من نور الله .. والشياطين من النار ..  
يامغتصب نور الله لاتنسى بأن الله لا ينسى ..

الكاتب

(1)

وقف القوم مشدوهين أمام إحتضان الذئب المفترس لكتلة اللحم الملفوف بأقمشة عديدة ودفاعه المستميت عنها رغم عواء الكلاب حوله وإصرارها المتواصل لإلتهايم تلك الكتلة التي لم تكن سوى طفل حديث الولادة يبكي مرعوبا من عواء الكلاب ويستجد بالذئب الذي يحاول حمايته من الجميع وكأنه والده .

عندما حضرت الشرطة صباح اليوم التالي كانت الكلاب ترقد صريعة في ذلك الشارع الضيق والذئب يملأ فمه من مياه الأمطار الراكدة ويفرغها بحنو في فم الصغير الذي يحاول إمتصاصها برفق وهو يبتسم بحب للذئب الذي لم يتحرك من مكانه عند رؤيته للشرطة أو يحاول الهرب فذكاءه الفطري أكبر من ذلك وإستسلم لشبكة الصيد التي حملوه بها الى حديقة الحيوانات وعينيه تقسم لإبنه الصغير بأنه سيعود يوما ليجتمع به ولن يتركه أبدا .

كان هذا وعد الذئب الذي أقسم على العيش ومحاربة الموت من أجل صغيره وعينيه تراقبهم وهم يأخذونه معهم لرعايته الى حين إجتماعهما معا مرة أخرى .

(2)

وقف أمام المكتبة يطلب قلمًا ودفتر مذكرات فريد مثله تماما ثم أقرض صاحب المكتبة نقوده بأنامل مرتعشة وعينان زائغتان والآخر ينظر إليه بدهشة لتسديده النقود دون مناورة أو طلب تخفيض .. لكن مابأعماق هذا الشاب ذو الأربعة عشر عاما يحجب عنه رؤية الحقيقة في عيون الآخرين . عاد الى وكره السري وإفترش قميصه على الأرض وجلس فوقه بضياح وأخذ يكتب .

(أنا الشعلة والأمل والضياء والغد الذي لن يأتي انا السراب ام البقاء ام الخيار الثانوى الكل يرفض ان يجيز روايتي واصابعي التكلّي ترنم حزن اعوام من الطيف المشابه للوقائع في ظلام الحيارى ياايها القوم الكسالي ماذا يجئ بعد هذا الصمت غير بركان مخيف العقل يرفض مبدا الفكره العقيمة يوم انجبت الشقاء كأن لا اعصار قد يأتي وكل الكون في صمت وريب من حقيقة كوني الجهل الكبير بأضلع الفرسان ذات النخلة العمياء يوم مضت تناثر بعضها عند الغروب ,

مامن سؤال عن نعيم او جحيم فالاجابة واحدة يا قيل من سئم الرماد مع الحريق او الضجيج مع الذبيح وربما بعض التطاير حين غرة من سراب تشاؤم الذكرى تقاتل ضد احقاد الصدود

كمن يجئ بلا ميعاد الى حديقة الموت الوحيد ليعلن موته معطيا عشرين سببا للرحيل عن الحياة ويكفى ان يمنح سببا واحدا للبقاء ليرحل في كرنفال جميل .

تفتحت عيناى في هذا المكان فهو منزلي رغم إمتلائه بالكثير من الناس أغلبهم في مثل عمري ..

عندما بلغت العامان بدأت عيناى تبحث عن أم أو أب أو إخوة لي بين تلك الجدران الصامته ..

أخبروني بأن الجميع إختوي ..

بأن هذا منزلنا الجميل وسنقضي بقية حياتنا بين جدرانه نساند بعضنا في كل الظروف ..

تعجبت كيف أنجبت أمي كل هؤلاء ؟ ولماذا لم تبقى معنا؟  
عقلي الصغير حينها لم يتخطى أكثر من هذه الأسئلة العادية وأنا أذهب  
الى الروضة مع إخوتي الكثيرون ونعود لنندمج في اللعب .  
تقبلت تلك الحقيقة وبدأت لى هذه الدار كالجنة ألعب مع إخوتي بالتراب  
والأشياء الصغيرة التي نجدها مرمية على الأرض .

أكملنا التعليم قبل المدرسي وبدأنا سنتنا الأولى في المرحلة الابتدائية ..  
بدأت تتغير الحياة بالتدريج والعشرات من إخوتي يخرجون مع أشخاص  
غريبين ولايعودون أبدا ..

صديق طفولتي (وائل) الذي ينام بالقرب مني , نذهب الى المدرسة  
ممسكين بأيدي بعضنا ونتقاسم وجبة الإفطار الشحيحة لقمة لقمة حتى نكاد  
نشبع ثم نرتوى بالكثير من الماء الذي لانجده متوفرا في المنزل أوقات  
كثيرة ..

لم أشعر يوما بأنه ليس أخي الحقيقي حتى في شجار اتنا الطفولية الصغيرة  
التي تنتهي بالنوم ونحن نحتضن بعضنا ..

كنا الأقرب لبعضنا , تجمعنا أشياء كثيرة مشتركة لايفهما غيرنا ولايحس  
بها سوانا , عدت من المدرسة ذات نهار ووجدت مكانه فارغا .. إختفى  
مثل الآخرون ..

وضعت حقيبتني على مكانه الفارغ وبكيت كثيرا , أين ذهب أخي؟ لماذا  
أخذوه ؟

إقترب أحد إخواني الكبار وهو يربت على كتفي مواسيا ثم قال:  
\_ كنت هنا عندما إتفقوا مع طبيب أجنبي لبيع قلبه الى مريض يعاني من  
القلب وآخرون يريدون كليتيه وعينه , كنت أختبئ تحت السرير هناك وهم  
يفحصونه ثم يحققونه بالمخدر ويجروه الى السيارة في الخارج ويقبضون  
التمن .

لم أصدقه وذهبت لأسأل أحد المشرفين في منزلنا عن أخي(وائل) ذلك  
المشرف الذي كان ينظم لنا مواعيد النوم والطعام ويعاقب المخطئين من  
إخوتي ..

لا أنكر بأنني كنت أخافه في أحيان كثيرة لكن غياب (وائل) منحني  
الجرأة للتقدم منه والإستفسار .

\_ مرحبا عمي .  
نظر إلي نظرة شاملة أرعبتني وهممت بالهروب من أمامه لكنه أمسك

بي وحملني بين زراعيه الى غرفته وقد بدأت الدموع تتسلل من مقلي  
ساخنة ,

لا تضربني أرجوك , أنا لم أفعل شيئاً أقسم لك .  
لكنه لم يضربني وشرع في خلع ثيابي عني وأنا أبكي وعيناي تنظر الى  
السياط في ركن الغرفة .

بعد عودتي من المستشفى لازمت فراشي عدة أيام وعقلي البرئ لا يفهم  
ما حدث ألبته ,

لكن ذلك المشرف لم يتركني وشأني وكأنني قد فتحت باب الجحيم علي  
فكثرت ضربه لي بلا أسباب تذكر , حين أتأخر عن مواعيد الطعام الذي يرمي  
لي في الأرض لأنحني وألتهمه عن أخره بعد ضرب مبرح أو لشربي أكثر  
من ثلاثة أكواب ماء في اليوم .

تارة يكون العقاب بالسوط وتارة بالإعتداء علي في الغرف المغلقة ولم  
أكن أعاني بمفردي فكل إخوتي تم إقتيادهم الى هناك سنة تلو الأخرى  
الواحد تلو الآخر .

قلت أحاديثنا مع بعضنا تحول الهدوء والبراءة الى صخب وضجيج  
وغضب على كل شيء , وكثرت الشتائم وأنواع العذاب .

وبدأت عقولنا تدرك الفرق بيننا وبين من يقطنون خارج هذه الأسوار ..  
نحن لقطاء الشوارع .

لا أذكر كم من الليالي قضيتها أبكي بحرقة وأنا أغمض عيناى بشدة  
في محاولة مني لمناداة أولئك الغائبون الذين تركوني بين الطرقات كم من  
الليالي توهمت أن بإمكان أمي أن تسمعني وتأتي للبحث عني ..

أن بإمكان أبي الإحساس بي ومد يده لإنتشال إبنة من هذا العذاب , كم  
من الليالي ظننت أن الدم يحن وأن كومة اللحم التي رموا بها هي قلب أمي  
وأبي هي هما معا ولا يمكنهما العيش ناقصين وأنا بعيدا عنهما لا يعلمان  
عني شيئاً ,

بل كم من المرات صرخت والسيط تنهال علي دون رحمة وجسدي  
يتورم ويسيل دما أمي بحق الله عليك أنقذيني .

هل إخترت أن أكون لقيطاً ؟

سؤال كثير مابحثت له عن إجابة .. الحقيقة شئ والواقع شيئاً آخر أنا  
بشر إنسان من لحم ودم .. يتأذى يتألم .. يشعر .. صدقوني .

أنا لست مخلوقاً من حجر ..

أرجوكم حرروني من هذه الحياة ..  
لاتنقذوني من الشوارع والكلاب المتوحشة لترموني في غابة تعج  
بالذئاب ..

أرجوكم حرروني من هذه الحياة .. إمنحوني الموت رحمكم الله ..  
الشوارع أرحم رغم قسوتها وبرودتها .. أنياب الكلاب الضالة أرحم من  
نهش الذئاب لبراءتي ..

وليد يوم لايملك سوى البكاء والكلاب تنهش لحمه لكن أطفال الدور  
القدرة لايملكون سوى الصمت أمام ذئب البشر ؟

كثيرا ماتسائلت إن كنا نعيش في أرض أخرى غير هذه الأرض .. كيف  
سمحوا لهم بسلخنا أحياء ؟

كيف تركونا بين أنياب مفترسة لتحرس لحوم نية لم تتضح بعد ؟  
اللجنة ؟

أنا أستحق الإحترام والتكريم لعيشي في مجتمع مثل هذا رفضني وأنا  
الملاك الوحيد بين عشيرة الشياطين ؟



(3)

قطعة داخل جسد الذئب تحركت ربما قلبه ..  
أنفه متحفزة لإشتمام تلك الرائحة , نهض مسرعا وهو يدور داخل قفصه  
بقلق وكأن صوته الضعيف يقول : إنه إبني , إنه صغيري , أشتم رائحته ,  
أشتم رائحته إنه قريب مني , إنه في مكان ما هنا , كيف؟ لماذا؟ هل ترك  
الملجأ؟

مرت أربعة عشر عاما منذ إفتراقني عنه الآن أشتم رائحته بشدة وكأنه  
أقرب إلي من أنفاسي , أين أنت يا إبني؟ أين أنت بحق الله عليك أين أنت؟  
حان الوقت ليوفي بالوعد الذي قطعته لصغيره قبل أربعة عشر عاما وهو  
يجلس هنا بسلام من أجل اللقاء به فقط لا غير ,  
حان وقت خروجه من حديقة الحيوانات لإحتضان إبنه والبقاء معه عليه  
الخروج مهما كلفه الثمن .

إنتظر الذئب لحين حلول الظلام ثم قام بذكاء وحذكة بتفكيك قفل الباب  
وخرج متسحبا نحو الباب الرئيسي للحديقة لكنه تراجع ببطء عندما لمح  
بشر مسلحين أمامه فهم لن يترددوا في إطلاق النار عليه وهو لا يرغب في  
الموت على الأقل الآن ,

توجه نحو شجرة النيم الكبيرة المطلة على شارع فرعي فتسلقها وعينيه  
تتفحص الشارع الذي بدا خالي تماما فقفز فيه والتصق يتمشي مع الجدران  
الى حيث الرائحة التي تقترب روايدا من أنفه رائحة إبنه .

هناك حيث ينام أبناء الشوارع والمشردين قادته أنفه , كيف؟ كيف يعقل  
هذا ؟ كيف يكون إبني بينهم؟ حدث نفسه وهو يشتمهم الواحد تلو الآخر وهم  
يغطون في نوم عميق حتى إرتمي قربه والدموع تفر بعجز من عينيه ,

لقد وجد صغيره , وجده بعد أربعة عشر عاما نائما بإنهزام بين الطرقات  
, ونظر الى السماء ليحدثها : لم يكن هذا وعدنا يا صغيري أين ذهبوا بك  
؟ ولماذا رموك بين الطرقات لتعود الى نقطة الصفر ؟ لماذا فعلوا بك ذلك  
يا إبني لماذا؟ .

وقف بكامل هندامه وعينيه تشع ثقة وإعزاز في ساحة الدار شبه الفارغة إلا من بضعة أطفال لاتتجاوز أعمارهم الثامنة يلتفون في حلقة لمراجعة دروسهم ..

لطالما كان هذا حلمه .. أن يقود عشيرته الى بر الأمان ويثبت للمجتمع الذي رفض اعترافه بهم أن البذرة الناتجة من أبوين ننتين قد تتحول الى أفضل محصول إن وجدت التربة الصالحة والرعاية الملائمة.

رغم كل ماحدث له نجح في الانتصار على نفسه وماضية وما ارتكب في حقه من إنتهاك جسدي ونفسي وإملاك القوة والإيمان لإنتشال بقية اللقطاء من قاع الأوحال والسجون التي يلاقون فيها كل ألوان العذاب ..

لم تهزمه المرارة ولا الإنكسار ولا الذكريات السوداء التي تملأ مسيرة حياته وتلك الوجوه التي قتلت طفولته وإنتهكتها .. لم تصنع منه مدمنا ولا إنسان غير صالح للمجتمع وحاقد عليه بل صنعت منه التغيير لحياة كل لقيط ومنبوذ في المجتمع ليصبحوا قادة يحسب لهم ألف حساب ويستشهد بأخلاقهم وبسالتهم وأمانتهم في كل مجال ...

على مدار سنوات إستطاع تغيير نظرات تلك العيون البريئة من الخوف والضياح الى الحب والطمأنينة .. وضع يده بيدها وتعاوننا في بناء حيوات اللقطاء الآخرين ..

تناسى جل ألامه بين وافد جديد للدار إلتهمت الكلاب المتوحشة جزء منه وهو يحارب ليبيقيه على قيد الحياة وكأن روح هذا الوليد الذي رموه بين الطرقات أو في النفايات دون رحمه هي روحه هو ..

كان يرى نفسه فيهم جميعا .. من حاول أهله التخلص منه شنقا او رميا أو وأدا ..

كانوا جميعهم هو فبقصة مماثلة لهم قاده القدر الى الدار وتفتحت عينيه بين أربعة جدران ليس فيها أم ولا أب .. لا يوجد غير الضرب المبرح والشتائم الخبيثة وكل مالا يخطر على بال بشر ..

هرب منها بمجرد بلوغه سن الرابعة عشر كمن يهرب من الجحيم والنار

الموقدة ليجد نفسه مشردا بين الطرقات مع أربعة عشر عاما قذرة ووجوه  
أشد قذارة ...

غيره أدمن على المخدرات والمشروب لينسى ويموت متمنيا الانتقام من  
كل البشر وإذاقتهم من الكأس الذي تجرعه بلا ذنب إقترفه أو خطيئة.  
دوما كان مختلفا وكأنه ولد من صلب أب عظيم وقائد مغوار لا يشق له  
غبار ...

تمسك بالحياة بقوة وهدف واحد يلوح أمام عينيه وهو إنتشال الأطفال  
الآخرين من الوحل ..

تأملت عينيه بصمت ضرب المشرفين لأقرانه الذين يهرعون بهم الى  
المستشفى ليقضوا بها أيامهم ثم يعودون وبلاشك طوال الاربعة عشر عاما  
أخذ نصيبه من ذلك ..

لكن حظه أوفر من أولئك الذين تم بيعهم الى الأجانب جملة واحدة  
لأغراض لاتعد ولاتحصى منها بيع أجسادهم وقلوبهم وكلاهم وكل مايمكن  
بيعه منهم ..

لم ينسى شيئا لكن الهدف الذي وضعه نصب عينيه خفف نزيف الجراح  
التي لن تشفى أبدا ..

وعاد يوم ما للإنتقام منهم الواحد تلو الآخر كالأسد يباغت فريسته في  
الغابة وكان ذلك حين مد له أحدهم يده وهو متكئا بإنهيار على حائط الجامع  
يوم خروجه من الملجأ وإطلاق ساقيه للريح وكأن الشيطان يلحق به .

(5)

عندما إستيقظ من نومه وجد أن دفتر مذكراته الذي مكث يدون فيه قصة حياته طيلة الأيام الثلاثة الماضية قد إختفى دون وجود أي أثر له ,  
بدأت رائحة قميصه غريبة وكأن أحد الذئاب قد ظل ملتصقا به الليل كله  
يشتمه ويلعق وجهه بلسانه ,

لم يستسلم وظل يواصل بحثه المستمر عن دفتر مذكراته ويسأل أقرانه  
عنه لكن دون جدوى لأن كل محاولاته باءت بالفشل وأخيرا قرر الذهاب  
الى المكتبة لشراء دفتر آخر .

بينما عاد الذئب بهدوء الى قفصه قبل صلاة الفجر وإستقر به وكأنه لم  
يفارقه قط بعد أن أعاد إغلاقه مرة أخرى .

إنزوى في ركن القفص ودفتر المذكرات يسقط على الأرض والذئب  
ينحني فوق صفحاته يقرأ بحب مادونته أنامل ابنه الصغير .

( كثيرا ماكنت أحلم بغرفة جميلة بها ألعاب كثيرة وسرير وأم رحيمة  
تلاعبي وتقبلني طوال الوقت وانا أضحك , أم تخاف علي من الغرباء ومن  
نسمة الهواء وتحيطني بين زراعيها دوما لأشعر بالأمان فيهما ..

أغفو على ترنيماتها وهدداتها ووجهها وعينيها , أم تهزل نحوي حين  
أستيقظ باكيا لتضمني الى صدرها وتخبرني بانها هنا ولن تتركني وتذهب  
, كيف تراه ذلك الشعور؟

كثيرا ما حلمت بأن تستقبلني أمي في باب البيت حين عودتي من المدرسة  
, تأخذ عني حقيبي وتسالني عن يومي وتبخني إن لم أتناول السندوتش  
الذي أعدته لي ببديها وتجلسني أمامها على المقعد وهي تحضر لي كوب  
عصير لأرتشفه حتى أخره ثم تقوم بتبديل ثيابي وتضعها في خزانتي ثم  
تسمح لي بالذهاب لمشاهدة التلفاز أو اللعب مع أصدقائي على أن أعود  
باكرا لأتناول الغداء برفقتها , كيف تراه ذلك الشعور؟

قبل موعد توزيع النتائج بيوم تجهز لي ثيابي وتحرص على أن أكون  
في أبهى صورة وكأنني الأول دائما ولن يحتل أي طالب آخر تلك المرتبة  
غيري ,

تستقبلني بحب كبير لأرتمي بين يديها وأنا أصرخ نجحت يا أمي نجحت , فتنهمر دموع الفرح من عينيها وهي التي كافحت لتنظم بين عمل المطبخ وتعليمي ترى ثمرة مراجعتها معي كل الدروس لم تذهب هباءً منثوراً , تخبر الجميع عن نجاحي من تعرف ومن لا تعرف تخبر صاحب البقالة الذي إشترت منه الحلوى لتوزيعها فرحاً بي ثم الجيران وحتى عابرين الطريق , كيف تراه ذلك الشعور؟

عندما أكبر وأخطو أول خطواتي نحو المراهقة وتصبح لي أسرار وخبايا وأشعر بإكتمالي بعيداً عنها وهي لا تكف عن إمدادي بالنصح والمسح على رأسي في أوقات خيباتي العاطفية وأنا أجلس قربها نشاهد أحد الأفلام معا , حين توصيني بالصلاة والمحافظة عليها وهي تراني لاهياً في أمور الدنيا وعند إنتظارها لي وأنا أعود متأخراً الى المنزل لتطمئن قلبها وخوفها وتقدم لي العشاء قبل أن تنام , كيف تراه ذلك الشعور ؟

يوم أصبح شاباً وعينيها تتأملانني بإعجاب وكأن لارجل على ظهر الأرض غيري , وهي تسهو بين ملامحي المحببة الى قلبها تبحث لي عن فتاة أتزوجها لترى أبنائي قبل أن تفارق الحياة وتقوم بتربيتهم كما قامت بتربيتي وتعشقهم كما عشقتني , كيف تراه ذلك الشعور؟

(6)

وصل الذئب الى قناعة تامة بأن الدموع لن تجدي وماحصل مع صغيره  
لايحتاج الى دموع بل الى قوة .

حرص على قص ورقة من دفتر مذكرات ابنه برفق حتى لايشوهه  
وأخرج القلم من قلب الدفتر وأخذ يكتب,,

سيدي الطبيب أنا ذئبك سنائي , أجل مازلت على قيد الحياة لكنني لا أكتب  
لأقول لك ذلك بل أكتب لأنني بحاجة الى مساعدتك وأعلم بأنك لن تخذلني

ولن تسألني ,

ثمة ابن لي في إفريقيا يكتب بطريقة شرسة , لا أحد له سواي ولا أحد  
أستجد به سواك , إنتشله من الضياع أرجوك , سأرسل لك دفتر مذكراته

والعنوان عليك أن تستقل أسرع طائرة وتأتي عند وصول رسالتي إليك ,  
أما أنا فسأبقى هنا حتى أخذ بثأره ممن ظلموه وأقضى عليهم الواحد تلو

الأخر وأشرب من دمائهم إنتقاما لصغيري الذي تركته أمانة بين أيديهم  
فألتهموا أمانتي وألقوا بعظامها على الطريق ,

سأعود يوما ما الى موطني , إليك والى ابني وحتى أعود كن له الأب  
والصديق والرفيق , امسح من ذاكرته كل الأشياء السيئة التي عرفها من قبل

حتى لو اضطرت لمنحه ذاكرة جديدة إسما وموطنا وحياة جديدة , أرجوك  
لاتخن أمانتي كما فعلوا هم ,

أنت طبيب ناجح فخرا لي ولوطنك وللإنسانية كلها فكما إستطعت تربية  
قطيع من الذئاب وتعديل جيناتها لتكتب وتقرأ وتحدث كالبشر وتمكنت من

زيادة نسبة الذكاء الخارق بها ستنجح في قيادة ابني الى بر الأمان)

كانت تلك آخر رسالة يبعثها سنائي الى سيده الأجنبي وعينه تبرق بشدة  
معلنة الإنتقام وكان الرغبة التي بداخله متعطشة للدماء وبشدة.

في وضح النهار خرج سنائي الذي لايقهر من جديد , سنائي الذي تحدى  
صيادوه وقتلهم دون رحمة من قبل ,

ذلك الذئب الذي وقف أخطر علماء الأرض حائرا في ذكاه الذي فاق  
كل شئ .. كل شئ على الإطلاق ,

منهم من بحث عنه لقتله والتخلص من مرتكب سلسلة الدماء التي قتلها  
دون أن يرف له جفن , ومنهم من بحث عنه لتشريحه وأجراء الأبحاث  
عليه ,  
لكن لم يتوصل إليه أحد لأن سناي الذي أدهش العالم كله كان قابعا  
باستسلام في حديقة حيوان تقليدية بإفريقيا لأجل ابنه ,  
والآن لن نستطيع قوة على وجه الأرض إيقافه أو التنبوء بما قد يفعله  
أذكى الذئاب وأخطرهم على البشرية ..  
الذئب الذي قاد قطيعه الى المدينة المفقودة منذ قرون وروضهم بذكاء  
لامثيل له فاستحق السيادة عن جدارة .

(7)

قبل أن تقوده قدميه الهزيلتين الى المكتبة شعر بالجوع يعتصر معدته التي أخذت تحتج بصوت مرتفع لم يخجل منه يوما في الدار ولا بعد خروجه منها ,  
النقود التي معه لاتكفي لشراء الخبز والدفتر معا , فهو لايملك غيرها منذ خروجه من الجحيم .

لمح قرب حائط الجامع في قلب السوق بعض الشباب يتعاطون المخدرات والمواد التي تجعل المرء يتحمل الجوع لأيام عديدة دون تناول اي طعام , توجه نحوهم فلم يكن بحاجة لتعريف نفسه إليهم لأنه ينام بين الطرقات مع أغلبهم والبعض منهم كانوا إخوة طفولته ورفقاء دربه في الدار .  
جرجر ساقيه حيث يتجمهرون ورمى بجسده الهزيل الى حائط الجامع ليتكى عليه ثم مد لهم يده ليعطوه أي شئ مما يتعاطوه يخرص صوت معدته الذي لم يتوقف منذ عدة أيام .

— لمن دفتر المذكرات هذا ؟

إلتفت بعنف نحو مصدر الصوت قبل أن تصل يده الى مشروباتهم وحده القوي يؤكد بأن هذا الشخص الذي يتسائل يحمل دفتر مذكراته المفقود ,

وكما توقع كان الدفتر الذي يخصه والغائب منذ الامس حيث بحث عنه في كل الأرجاء ولم يعثر له على أثر ,  
حاول الوقوف على قدميه لإحضار دفتره الغالي على قلبه لكن الضعف سرى في كل أوصاله إنه الجوع لاشئ آخر ,  
لم يعد يقوى على الحراك , عينيه غائبتان تصارعان الظلام ومد يده الى الرجل داخل السيارة التي لم يرى لها مثل من قبل وهو يؤكد بضعف:  
— إنه لي , أقسم لك أنه لي .

وسقط مغشيا عليه في منتصف الطريق لاهو قادر على العودة الى رفاقه ولا الذهب لأخذ الأوراق التي سطر بها قصة حياته وكل أحلامه بالدم والدموع .



كل حلم راوده طيلة سنوات عمره المنصرمة , كل حادثة مؤلمة وكل  
جرعة ذل وهوان عاشها ,  
كل دقيقة مرت عليه كالقرون وهو قابع داخل جدران الدار يتألم ويبكي  
ويصرخ ويتمنى الموت الذي لم يرحمه كما لم يرحمه الآخرون .  
آلاف من التساؤلات والغضب والحنق سكبها بين تلك الأوراق , آلاف  
من الإدانات والشكاوي والقضايا والإتهامات تقبع هناك بين حنايا دفتره ,  
حيوات إنتهت في غمضة عين وأخرى ولدت لتعيش الجحيم , من مات  
من رفقائه هناك , من عاش , من بيع , من قتل من ومن ومن ؟  
دفتر مذكراته يقول كل شئ , تخلص من العبا الذي يحمله على ظهره  
طوال سنوات عمره الذليلة ورماه على دفتر مذكراته وهو يكتب كما لم  
يكتب أحد من قبل ,,  
لم يسأل الكلمات من أين تأتي ولا هل ستقف في صفه وتدعمه أم ستكون  
على الضد و الحياد ,  
وصف حياته وحياتهم بدقة ووقع الإنتحار بدمه على آخر صفحاته فكيف  
وصل الى يد هذا الأجنبي الذي يشبه الكثيرون مما أخذوا إخوته الى بلادهم  
ولم يعودوا حتى الآن .

(8)

ذهب لدار العجزة ليس رغبة منه في رؤية والدته بل لرؤية تلك الأنامل العشرة التي وضعته بها بين أنياب الوحوش غير مبالية بدموعه وتوسلات عينيه ..

أنامل الأم التي ذبحت رضيعها وواصلت الحياة رقصا فوق جثمانه .  
فتحت زراعيها لإحتوائه وهي تهمس من بين دموعها :  
\_ إبنى الحبيب .

\_ بل إبن الشوارع البار .

قالها وهو يتراجع خطوات للخلف وكأن لمسها له أكبر خطايا الأرض .  
\_ هل أنت غاضب للحد الذي لا ترغب فيه بإلقاء التحية على أمك , إغفر لي يا ولدي أدرك حجم الخطأ الذي أقرفته في حقك وأنا نادمة عليه , لم يكن أمامي خيار سوى التخلي عنك .

\_ تصدين قلتي فإن لم تخني الذاكرة أخبروني بأني كنت ملقى بين النفايات والكلاب تحوم حولها بحثا عني لإلتهامي ؟

\_ أرجوك إنسى ماضى وأغفر لي يا بني .

\_ إطلبني الغفران من الله لا مني .

\_ أنا أحتاج إليك الآن , ليس لي أحد سواك بعد رمي إخوتك لي في دار العجزة .

\_ إخوتي في الملاجئ وبين الطرقات لا إخوة لي سواهم .

\_ إرحم ضعفي وعجزي .

\_ كنت أشد ضعفا وحاجة إليك يوم تركتني .

\_ أنتنقم مني .

\_ لأشئ بيني وبينك يدعو للإنتقام أنا لقيط وأنتي سيدة مجتمع فاضلة ..  
الوداع .

\_ أين تذهب وتتركني؟ كيف أجذك؟ وأين تقيم ؟

\_ أذهب الى الطرقات التي أقيم فيها ويمكنك إيجادني حيث المكان الذي إفترقنا فيه قبل خمسة ثلاثون عاما .

وخرج دون أن يلتفت ليلقى نظرة الى الوراء كما فعلوا به حين قذفوه بين النفايات وذهبوا .

اليوم هو كاتب عظيم يشار إليه بالبنان في العالم كله , اليوم يملك من الثروة ما لا يخطر على بال بشر ويمكنه الذهاب بعيدا جدا عن هذه البلاد لكنه لن يذهب .

اليوم حازت رواياته الواقعية عن المعاناة التي تكبدها هو وإخوته داخل الدار ومصيرهم المجهول بعدها على جائزة نوبل التي هيأ الكون نفسه لمنحها له , لكنه وقف على المنصة وتحدث بلباقة وأدب عن رفضه للجائزة وعاد أدراجه الى البلاد وسط الدهشة والذهول اللتان خيمتا على الكون كله من ذلك الكاتب الإسطوري الذي رفض أفضل جائزة في العالم وعينيه تنظر الى الأرض متحاشية الأضواء والكاميرات والشهرة وكأنه يوصل لهم رسالة مختصرة أين كنتم من قبل ياسادتي ؟ أين ؟.

في ظروف غامضة اختفت الملفات القديمة من الدار , ملفات تحوى  
 أسماء من عملوا بها طيلة الاربعة عشر عاما الماضية , من رؤساء الى  
 مشرفين وحتى عاملي النظافة وكل من زار الدار خلال تلك السنوات .  
 هكذا كانت بداية الرواية المرعبة التي بدأ أبطالها يتساقطون الواحد تلو  
 الآخر بعد تجرعهم لأخطر سم لم يتم إكتشافه بعد ,  
 تراكمت القضايا الواحدة تلو الاخرى آلاف من الجثث من أماكن متفرقة  
 في البلاد كهولا وشباب , مواطنين وأجانب لقوا حتفهم جميعا بذلك السم  
 الغريب رغم الاختلافات الكبيرة بين أماكن تواجدهم وطريقة تعاطيهم للسم  
 الذي ظل يسرى في أجسادهم زارعا بها الديدان المفترسة التي تولت مهمة  
 إلتهام اللحم قبل العظم والأطباء يقفون مشدوهين أمام تلك الحالات , ولماذا  
 هم دون غيرهم , مدراء تلك الدار ومشرفيها والعاملين بها وكل من يتعامل  
 معها ماتوا وأعينهم تتابع إلتهام الدود لهم حتى الرمق الأخير لماذا؟  
 لم يربط أحد حادثة إختفاء سناي من حديقة الحيوانات بتلك الجرائم التي  
 شغلت البلاد بأثرها ,

فلا أحد مطلقا قد يتوقع أن ذنبا يمضي يومه داخل قفص بحديقة حيوانات  
 عادية هو من بحثت عنه أقوى السلطات من قبل في حادثة أشد بشاعة وألما  
 من هذه وطارده من دولة الى أخرى دون أن تتمكن من قتله أو معرفة  
 السلاح الذي يقضي به على ضحاياه.

سناي الذي لا يخلف وعدا قطعه لأعدائه مهما طال به الزمن ويظل  
 يتربص بهم ثم يظهر أمام أعينهم فجأة كالمعجزة يتحدث لغة البشر يحاسب  
 ويعاقب وكان بشري يقف أمامهم لاذنب ثم ينقض على فريسته واضعا بقمها  
 السم الذي حمله من جوف الأرض والذي أدى الى هلاك مدينة بأسرها قبل  
 قرون من الزمان ثم إختفائها بكل ما فيها .  
 السم الذي لا يعلم بسره إلا هو والمدينة التي لا يعلم بوجودها من الكائنات  
 سواه .

يوم حاصره كل من في الأرض وحكموا عليه بالإعدام وتأثر القطيع من

إنتقامه بعد أن لفت إليه الأنظار فقتلوا أمه وأبيه وإخوته وشردوا قطيعه في كل البقاع وضاعت عليه الأرض , فقرر اللجوء الى باطنها لا فوقها وظل يحفر دون تعب أو كلل مع ماتبقى من قطيعه الى الأعماق السحيقة من الأرض حيث تعجز كل الأجهزة والأقمار الصناعية من إلتقاطه أو تحديد مكانه حتى أنهم إضطروا لعبور سبعة بحار فوق بعضها البعض ليتمكنوا من الوصول الى أرض ثابتة ,

تلك الأرض كانت جنة من الخيال لامثيل لها , بنيانها وكل مافيها من أعلى الكنوز أرض وهم يسيرون بها كأنهم يسيرون في جنة من الجنان كل شئ لامثيل له ,

حيث إختفى سنאי ومن معه من القطيع هناك ينظرون بذهول تام الى المدينة الساحرة التي وصلوا إليها وكأنهم خرجوا من أسفل الأرض الى مكان آخر , وربما يكون هذا ماحدث بالفعل .

أنهار من اللبن وكل الملذات تجري دون إنقطاع , كل ماتشتهيه الأنفس قريبا جدا , تبدل التراب بالكنوز النفيسة الغالية كل ماتقع عليه العين لامثيل له ,

لكن ثمة الكثير من الهياكل العظمية لبشر وحيوانات في كل مكان وكأنهم غرقوا في طوفان ما ليتركوا كل هذه الجنة التي لاتوصف ألبته خلفهم .. لم يتعجب سنאי لعدم معرفة البشر بوجودها لأنها أبعد من نطاق إختراعاتهم وتفكيرهم المحدود كثيرا.

لم يكن سنאי بحاجة لإحضار طعام أو شراب لقطيعه فلاشئ مفقود هنا , كل ماعليه فعله هو العودة للتخلص من أعدائه بذلك السم الذي قرأ كتابه وهو يتجول متأملا جمال هذا المكان الخالد ,

سم يتحول الى ديدان مفترسة حين ملامسته لجلد البشر فلايمكنهم التخلص من تلك الديدان ولاحرقها ولافعل شئ لها وهي تلتهم اللحم كله مع حرصها على إبقاء فريستها متيقظة تراقب موتها لأطول فترة قبل أن تحكم عليها بالموت.

جوار هذا السم محلول لم يفت على سنאי التوقف عنده ومعرفة ماهيته , محلول تجرعه سنאי حتى آخر قطرة فيه قبل مغادرته لتلك المدينة والعودة الى الأرض .

بطريقة ما تمكن الطبيب من إخراج ابن الذئب وأخذه الى مختبره الخاص ليتأكد إن كان ابن سنائي بالفعل أم أن ذئبه الشجاع تورط مع قاتليه مرة أخرى دون أسباب منطقية .  
كل الفحوصات التي أجراها عليه تؤكد أن هذا الفتى بشري تسري بين عروقه دم الذئاب ..

خلع الطبيب نظارته وهو يقف فوق رأس ابن الذئب الذي يرقد بإستسلام بين الأجهزة وظل يتسائل : كيف يعقل هذا , الذي أراه امامي رجلا مكتمل الرجولة لكن كل قطرة دم داخله مثل دماء الذئاب بل هي كذلك بالفعل؟ كيف إستطاع العيش كل تلك السنوات من عمره دون أن يكتشف أحد ذلك ؟ إنه يحمل دماء سنائي بدلا من دم البشر ؟ كيف يعقل أن يكون بشري ابن ذئب؟

حقا أشفق على البشرية التي لم يهدى رعبها من سنائي ليظهر ابن له من خليط غريب ؟ من هي أمه ؟ لا بد من أنها بشرية فإن كانت ذئبة لكان هذا الفتى مثل أبيه لامتنا ؟

ماذا سأفعل بك ياابن سنائي الآن ؟ كيف سأرد الدين لوالدك الذي أنقذ حياتي عشرات المرات وساعدني كطبيب لإكتشاف الكثير من الأشياء بذكاءه الذي تخطى كل الحدود؟

كل جائزة وإحتفال توجت فيه كان بفضل والدك سنائي , كل إحترام وعبقرية شهد بها العلماء في حقي كانت بفضل والدك والأن لا أنت مثلي لأتمكن من مساعدتك ولا أنت مثل أبيك لأضعك للتعديلات التي خضع لها ,

أنت بين هذا وذاك بين البشر والذئاب ؟ فلا أعتقد بأنك تحتاج الى مساعدتي لأن عقلي ضئيل أمام الذكاء الذي ورثته من والدك يابني فأنت ابن الذئب وانا مجرد طبيب عادي .

فاق الطبيب من شروده على صوت مساعده الذي تسائل بحسرة :  
\_ ماذا قررت أن تفعل لابن سنائي؟

جاءه رد الطبيب بسرعة قائلا:

— إستعدوا جميعا سنجري سلسلة من العمليات له الآن .  
لم يفهم أحد من مساعديه مايعنيه بسلسلة العمليات هذه لكن الطبيب أقسم  
بينه وبين نفسه بأن يرد الدين لصديقه الذئب بسكب كل خبرته وإختراعاته  
التي ساعده فيها سنائي بذكاءه الخارق في جسد ابنه .

أول تلك العمليات كانت مسح ماتراكم من معلومات في ذاكرة الفتى  
خلال الأعوام المنصرمة وتغيير كامل في لونه وملامحه ليصبح نسخة  
مصغرة للطبيب , وثانيها هو منحه القدرة لقرءاة أفكار الآخرين والتسكع  
بين أدمغتهم والتحكم فيها كأبيه تماما , ثم إضافة قوى تسمح له بتحريك  
الأجسام من على البعد والإختفاء عن الأنظار أيام وأشهر , وأخيرا إعادة  
كل جزء تم أخذه من جسد سنائي ومخه من قبل للإختبارات وزرعه في  
جسد ابنه .

في تلك الأونة وبينما الفتى في غرفة العمليات كان أصدقاء أبيه يبذلون  
مجهودا منقطع النظير لمنحه هوية جديدة وإسما وبيانات جديدة بعد مسح  
كل مايتعلق به في الماضي وإبادته من الوجود ليولد من جديد كإبن الطبيب  
الذي خبأه عن الأنظار لأربعة عشر عاما بحجة إختلاله العقلي الذي تعافى  
منه مؤخرا فسمح له والده بالخروج للناس .

لم يشكك أحد في صحة تلك الرواية وذلك لأن زوجة الطبيب التي توفيت  
في حادث ولادة قبل أربعة عشر عاما قد تركت خلفها إبن رضيع لايعلم  
عنه أحد شيئا بعد وفاتها ,

وهكذا إلتحق(إيفان) إبن سنائي بأفضل كليات الطب في العالم لإكمال  
تعليمه وسط دهشة الأساتذة والطلاب من ذكاءه الفائق .

عاد سنائي الى دياره ليجد ابنه شخصا آخر غير ماتركه آخر مرة وجده فتى مفعم بالحيوية وحب الحياة وهو يعود من جامعته مسرعا ليعتكف مع الطبيب في الإختبارات والإختراعات المتعددة وهو يدعوه بأبي الخارق ,  
دوما ظل يقفز فخر إيفان بالطبيب من خلف عينيه وكأنه أسعد ابن في العالم كله لدرجة يحسد فيها نفسه على أبيه .

لم يكن أمام أكاي فعل شئ وهو يرى سنائي يجلس بإستسلام بعيدا عنهما يسترق السمع الى أحاديثهما وقصص إيفان اليومية عن جامعته وأصدقائه وعينيه ساهية تتأمل صغيره بإعجاب وفخر .

كيف يقنع إيفان بأن سنائي والده لا هو , وبأن هذا الذي يراه مجرد ذئب عادي قد فعل المستحيل من أجله ؟ وخطر بباله يوما أن يسأل سنائي عن قصة ابنه وعن أمه الحقيقية وهما يجلسان على ضفاف البحر يتأملان الموج ويتحدثان عن رغبة سنائي في أخذ ابنه الى المدينة الساحرة تحت الأرض ليتعرف على أعمامه وعشيرته.

دوما كان هذا حلم سنائي من يوم قدوم ابنه الى الدنيا , كم من المرات توهم ابنه بين أبناء عمومته يمرح ويلعب ,

كم من المرات إشتاق للعودة الى قطيعه وبيده قطعة منه تشبهه ويشبهها , أن يقف في أعلى الجبال ويصيح بأعلى صوت يملكه كسيد قطيع بأن يرحبوا بأبن سيدهم وينحنوا له إحتراما .

سنة تلو الأخرى وهو يتخيل ابنه يتوج سيدا على القطيع ويقوده بمهارة وثقة كما فعل والده على الدوام .

فخره بإبنه وحبه له لاحدود لهما لدرجة أنه على إستعداد للتضحية بكل شئ وإطاحة كل من يقف بينه وبين إيفان في كسر من الثانية .

تسائل الطبيب مقتحما شرود ذئبه :

\_\_\_\_\_ سنائي ؟

\_\_\_\_\_ أسمعك .

\_\_\_\_\_ من تكون والدة إيفان ؟



رغم توقع سنאי لهذا السؤال لكنه وقع عليه وقع الصاعقة وعينيه تومض  
ببريق مخيف وهي تنظر الى البحر أمامها .

— يمكنك الوثوق بي ياسنای .. إنها بشرية أليس كذلك ؟  
— كيف عرفت ذلك ؟

— التحاليل التي أجريتها على إيفان تؤكد بأنه ابنك وليس له والد سواك ,  
دمك يجري بين عروقه , كل ما فيك وجدته به ياسنای وكأنه نسخة مصغرة  
عنك في شكل بشر , لو كانت أمه من القطيع أو أنتى ذئب لكان مثلك لامثلي  
ياصديقي .

— ماذا وجدت أيضا ؟

— التعديلات التي أجريتها عليك أنت دون سواك من القطيع والتي  
لايعرف بها غيري توجد في تكوينه مما يدل بأنه ورثها منك وهذا شئ  
لايقبل الجدل لأنني طبيبك .

— تريد أن أروي لك قصتها إذا ؟ والدة إبنی الحبيب!

— الفضول يقتلني لمعرفة قصتكما صدقني .

أسند سنای رأسه على زراعیه وأرخی ذيله بخمول ثم قال :

— تلك القصة مؤلمة ياأكاي لن يتحمل قلبك سماعها , جاهدت ليلة بعد  
أخرى لمحو صورتها من مخيلتي لكنني فشلت , كانت أمام عيناى بكل  
وضوح لم أتمكن من نسيانها يوما , ملامحها وكل مايتعلق بها وكأنها بالأمس  
فقط , أه يا أكاي لو رأيتها .

— يا إلهي أنت مغرم ببشرية ياسنای , دعني أصدق ذلك بحق الله عليك  
, كيف ؟ لماذا ؟ ماذا حدث وأين عثرت عليها ؟ أهى مثلنا وبكامل قواها  
العقلية قبلت أن تكون معك ياسنای ؟ كنت هاربا والكل يبحث عنك متى  
قادتك قدميك الى إفريقيا وأنا الذي كنت أبحث عنك كالمجنون وأدعو من  
كل قلبي ألا يصيبك مكروه كيف تمكنت من الهرب منهم والذهاب الى هناك  
؟ أخبرني لأن الفضول يكاد يقتلني .

قبل أن يفتح سنای فمه ليحيب الطبيب سمعا صوت إيفان القادم نحوهما  
يصيح من على البعد :

— هنيئا لك ياوالدي الحبيب , تجلس مع ذئبك بهدوء والنار تغلي بأعماقي

تنبه له كلاهما في حين تسائل أكاي مسرعا قبل أن يتحدث سنای وينكشف  
أمره فهو لايقبل مكروها على إبنه فكيف يقول الان بأن النار تغلي بأعماقه :

\_\_ مابال النار تغلي بأعماقك يا إيف ؟  
إقترب منهما وجلس بينهما قائلًا وهو يمدد ساقيه ويداعب شعر سنائي  
بيديه :  
\_\_ تلك الحمقاء ذات العينان الخضراوان , أقسم بأني سألقنها درسا لن  
تنساه طوال حياتها كيف تجرؤ على معاملتي بهذا الشكل ؟  
\_\_ أهي صديقة لك ؟  
\_\_ لا يا أبي .  
\_\_ معك إذا بالجامعة ؟  
\_\_ ولا هذا أيضا .  
\_\_ ما أسمها إذا ؟  
\_\_ لا أدري .  
أطلق أكاي ضحكة عالية بينما أخفى سنائي الضحكة بأعماقه وهو يرى  
حالة ابنه لأول مرة يتحدث عن فتاة ويتوعدها وهو لايعرف حتى أسمها .

مرة أخرى خرجت تلك الفتاة المشاكسة من الدار , صاحت المشرفة  
تحدث البقية :

بدأت أشك في ان هذه الفتاة مصابة بضرب من الجنون وليس هذا  
من فراغ بالطبع لكنه جراء حشو مخها الصغير بأكداس من الكتب التي  
تفوق عمرها بقرون , مرة تسرق من المتاحف كتب قديمة ومهترئة والأن  
تخبرني بأنها ستغادر أرضنا الى مكان أكثر أمانا أسفلنا بواسطة أنفاق  
وأشياء لايعرفها سواها ,

ماذا أفعل الان إخبارني ؟ من منكن تتواطئ مع هذه المجنونة , أليين  
تعالى الى مكتبي سريعا فأنتي أقرب صديقة لتلك المعتوهة .

لم تكن تلك الحادثة الاولى من نوعها التي تنقلى فيها فتيات الدار سيل  
من الشتائم والإهانات بسبب سندرا المجنونة ,

بالأحرى لم تكن مجنونة بالمعنى الحرفي لتلك الكلمة بل جنون من نوع  
آخر , جنون يدفعها لسرقة المتاحف الاثرية والتسلل كاللصوص الى بيوت  
علماء الآثار ونهب ممتلكاتهم ونتائج مايتوصلون إليه لأغراض لايعرفها  
سواها .

بئست الشرطة من إعتقالها والأفراج عنها ومن الشكاوي الغربية المقدمة  
ضدها , فهي لاتسرق إلا مايمت بصلة للتاريخ القديم تارة القطع الأثرية من  
المتاحف وتارة الكتب ,

مؤخرا ألقوا القبض عليها وهي تحفر أحد البقاع المهجورة بحجة وجود  
آثار قديمة مدفونة تحتها .

تم إحالتها الى مصح عقلي لكن الأمر إزداد سوءا وهي تجمع حولها  
المجانين لتقص عليهم ترهات عن عوالم أخرى ومدن غائبة عن الوجود  
وأرض يقطنها سكان عليها الذهاب إليها عاجلا أم آجلا .

لنعد للخلف قليلا ونعرف شيئا عن سندرا ,

هي فتاة يتيمة الأبوين توفي والديها في حادث سيارة وأحضرها الى  
الدار الذي ساهم والدها المتوفي في بناءه ودعمه طيلة سنوات حياته ,

والدها كان من القلائل الذين يتمتعون بثراء فاحش من بين أبناء طبقتهم عرف على الدوام بين أقرانه بحبه للسفر والرحلات الإستكشافية بين القارات والحضارات حتى قاداته رحلاته يوما الى الزواج من امها الإفريقية السمراء ابنة سيد القبيلة لذلك تميل سندرا الى سمرة أمها أكثر من اللون الأبيض الذي يتميز به أبيها ,

ورثت شغف والدها وتطلعه للمجهول ونحافته الطبيعية التي كان يحسده عليها الكثيرون وعيون أمها الواسعة الخضراء ووجهها الملانكي الأسر وأنوثتها الطاغية التي توجتها ملكة جمال اكثر من مرة على نساء جيلها .

\_\_ تبا لكي ياصاحبة العينان الخضراوان , إن لم أخطئ فهذه هي المرة الخامسة التي ترتطمين بي فيها وتسقطيني أرضا .

قالها إيفان بسخط وهو يدفعها جانبا وعينه تنقطر شررا .

\_\_ أنت مرة أخرى , هل تتبعني يا فتى ؟

قالتها سندرا بضيق وعجل وهي تنهض متلفتة في كل الاتجاهات وكأنها مطاردة من أحدهم كالعادة .

\_\_ من يتبع من برأيك أيتها النحيفة ؟

كانت تضم حقيبة الى صدرها عندما همت بإطلاق ساقها للريح مبتعدة عنه حين ظل متجمدا في مكانه ينظر الى غبار الغضب الذي خلفته وراءها

كل مرة يقسم بأن يلقنها درسا لن تنساه عندما يقابلها لكنها تتركه مع الغضب يزيل الأغبرة عن ثيابه ويواصل طريقه الى المختبر بعد أن تشيعها عينيه وهي تسابق الريح وكأنها تهرب من البشر أجمعين الى مكان ما .

دارات سندرا حول المكان ثم عادت لتقف أمامه لاهثة وهي تقول :

\_\_ خذني الى مكان آمن .

فغر فاه دهشة وهو يردد :

\_\_ ماذا ؟ ماذا ؟

إنحنت على ركبتيها متوسلة وهي تشبك يديها معا قائلة بعينين زائغتين :

\_\_ سأشرح لك الأمر لاحقا , أرجوك خذني بعيدا من هنا أحتاج الى مكان آمن , أرجوك .

\_\_ حسنا أيتها النحيفة إنهضي وإتبعيني .

\_\_ شكرا لك .

\_\_ لا تشكريني أبدا لأن ثمة ثأر بيننا لن يهدأ لي بال حتى أناله منك .

لاح شبح إبتسامه على شفيتها وهي تضع الحقيبة على ظهرها قائلة:  
\_ حسنا .

بدأت نحيلة للغاية في سروال الجينز المحبب إليها والقميص الرجالي  
الأسود قصير الأكمام وحذاءها الرياضي الخفيف ذو الأربطة وشعرها الذي  
كومتها للخلف دفعة واحدة وربطته بقطعة حريرية حمراء .

\_ مما تهربين دائما يا ذوات العينان الخضراوان ؟  
\_ أدعى سندرا وقبل أن أرد على سؤالك علي إخبارك بأنني لن أجاري  
خطواتك المتناسقة يجب أن نهول وبأقصى سرعة .

توقف مندهشا ينظر الى إستعدادها للجري قبل أن يقول :

\_ لماذا ؟ هل يلاحقك أحدهم ؟ ماذا لو رفضت مسابرتك ؟  
\_ قالت ببساطة وكل مافيهما يعني ماتقول :

\_ نفترق , لن أكون بحاجة اليك وأنت تسير بهذا البطئ .  
تفرس في ملامح وجهها وأدرك بأنها ستنكره واقفا يحدث الفراغ وتختفى  
مثل كل لقاء جمع بينهما , قال مستسلما :

\_ حسنا لنهول بأقصى سرعة وكأنا في سباق مع الزمن .  
\_ أجل , لنفعل ذلك .

وإنطلقا بسرعة البرق , لم تكن يشق لها غبار في السرعة ولم يكن من  
النوع الذي يقبل الهزيمة من فتاة .

بعد خمسة ساعات متواصلة من الركض وصلا الى كوخ يقع في قلب سلسلة الجبال المغطية للغابات الإستوائية المطيرة التي تحيط بالجزء الجنوبي الغربي للجزيرة والمكونة من أشجار الأبنوس والساج الكبير والنباتات الزهرية وبعض أشجار الفواكه إضافة الى النباتات الهضابية في المنطقة الجبلية .

أخرج إيفان مفتاح الكوخ من جيب سرواله الابيض ودسه في فتحة الباب الخشبي الذي أحدث صريرا مزعجا عند دفعه .

دلفا الى الداخل وسندرا تصدر صوتا خافتا ينم عن إعجابها بنظام الكوخ وترتيبه المتناسق بالرغم من بساطته .

أول ماتقع عليه العين أريكة كبيرة بحجم السرير ملفوفة بإتقان داخل إسفنج مبطن مغطى بقماش مشجر في الناحية الشمالية من الكوخ , على يسارها مقعدان مريحان من الجلد وفي المنتصف طاولة خشبية متينة ذات غطاء أبيض مزخرف ,

بينما يقبع في الناحية الاخرى المطبخ ذو الطاولة الأسمنتية الطويلة التي تغطي معظمه وتترك جزء صغير منه للمرور يمكن إستخدامه كالباب ,

داخل المطبخ رفوف خشبية وثلاجة صغيرة ومنضدة طعام تحيط بها كراسي بلاستيكية صفراء اللون, كما يوجد سلم خشبي خلف الباب الرئيسي مباشرة يقود لغرفة النوم بالأعلى.

إرتمت سندرا متعبة فوق الأريكة وهي تلخع حقيبة ظهرها وتضعها بالقرب منها , ثم قالت وهي تتفحص المكان بعينيها :

\_\_\_\_\_ أنت تملك كوخا رائعا .

ضحك إيفان بنعومة وهو يضع براد الشاي على النار قائلا :

\_\_\_\_\_ أشكرك لكنه ملك لذئب والذي وليس لي .

إنتابتها الحيرة وهي تردد خلفه :

\_\_\_\_\_ ذئب والدك ؟

\_\_\_\_\_ أجل , لقد إشتري له والدي هذا الكوخ منذ سنوات ولم أعلم بوجوده

- إلا حديثنا , حين طلب مني ممارسة هواية الكتابة فيه .  
 \_ أوه أنت كاتب إذا .  
 \_ لا أدري والدي يقول بأنني كنت أكتب بطريقة مذهلة في صغري  
 \_ ألم تجرب أن تكتب لإكتشاف ذلك؟  
 \_ ليس بعد فلم أجد الوقت الكافي , الطب يأخذ كل وقتي وتفكيري.  
 \_ هل أنت طبيب .  
 \_ أجل , أدرس في السنة النهائية بكلية الطب , معك الطبيب إيفان أكاي  
 ياسيدتي .  
 \_ تشرفت بمعرفتك , أنا حقا بحاجة لطبيب في حياتي .  
 قالتها وهي تضحك بعفوية وسابرها إيفان وهو يضع أكواب الشاي  
 أمامها على الطاولة الخشبية ويجلس على المقعد الجلدي القريب حتى يتمكن  
 من تناول كوبه وإعادته دون صعوبة.  
 أخذ رشفة من الشاي الساخن الذي تفوح منه رائحة النعناع وهو يتسائل :  
 \_ سنندرا مما تهربين على الدوام ؟  
 \_ من كل الكوارث في حياتي .  
 \_ لم أفهم , فسري لي أكثر .  
 \_ أنا ابنة مستكشف من أب لجد وتوصلت الى مكان غريب وبعيد لا  
 أدري كيفية الوصول إليه .  
 \_ تعنين بأنك باحثة أو شئ من هذا القبيل .  
 أخذت جرعة كبيرة من كوبها حيث شعرت بحرارتها تلسع لسانها  
 وجوفها وهي ترد :  
 \_ أدرس في كلية الموسيقى والدراما لكن الغريب في الأمر هيامي  
 وعشقي للآثار .  
 \_ تخصص جميل طالما أحببته , حدثيني عن المكان الذي إكتشفته.  
 \_ إنه سري للغاية لايمكنني الوثوق بك.  
 \_ بعد كل هذا لايمكنك الوثوق بي , هل أنتي معتوهة ؟  
 \_ لا أسمح لك بتجاوز حدودك معي .  
 \_ اتجاوزت حدودي معك بقول معتوهة ؟  
 \_ أجل وعليك الاعتذار فورا .  
 \_ أنتي تحلمين بلاشك , عن أي شئ سأعتذر .  
 \_ عما قلته أيها المعتوه .

تعادلنا إذا .

قالها إيفان بإبتسامة عريضة وهو يرتشف آخر جرعة من كوبه ويضعه  
بمخمول على الصينية النحاسية .

نظرت إليه سندرا قبل أن تنفجر ضاحكة وهي تقول :

أنت تملك عقلية غريبة .

ماذا !

أعني بأنك مختلف , رغم مافعلته بك وهو دون قصد مني بالطبع  
قبلت الركض معي طوال خمسة ساعات متواصلة دون أن تنبس ببنت شفة  
أو تتسائل مما نهرب والأن نرتشف الشاي في بيتك ونتحدث وكأننا أصدقاء  
طفولة .

لا تتعجلي ما زال أمامي الوقت للأخذ بثأري وطرح الأسئلة , الآن  
يمكنك أخذ قسط من الراحة بعد المجهود الخرافي الذي بذلته لمجاراتي في  
الركض , أظن بأن الغرفة ستكون مريحة لك مقارنة بهذه الأريكة .

اعترف بأنها المرة الأولى التي أجد فيها من لا يشق له غبار في  
الركض , أنت مسرع جدا وكأنك العداء الأول في العالم .

إذا أنتي لم تري شيئا بعد فلقد كنت أخفف من سرعتي حتى تتمكني  
من اللحاق بي .

انت تمزح ؟

بالطبع لا .

لا يعقل إذا أن تكون بشري مثلنا .

الحقيقة غير ماتقولين يا عزيزتي , هيا إخلدي للنوم .

حسنا سأصعد للأعلى .

حسنا .

حملت سندرا حقيبتها بيد واحدة رغم ثقل وزنها وهي تجر قدميها  
صاعدة السلم لتترك إيفان يجمع الأكواب ويضعها على حوض المغسلة .



باب الغرفة الخشبي مفتوح على مصراعيه والأرض الأسمنتية نظيفة بالرغم من أنها لاتخلو من بعض ذرات الأتربة المتناثرة هنا وهناك .  
لا يوجد بالغرفة سوى سرير متوسط وخزانة قديمة والكثير من الصور الباهتة والقديمة معلقة على الجدران أجلت سندرا رؤيتها الى وقت لاحق وذلك لرغبتها الملحة في النوم , فهي لم تتم كفاية منذ ليلة البارحة , تلك الليلة المشحونة بالاحداث الغريبة .

أخذ عقلها الصغير يسترجع ما مر بها في شريط ضبابي وهي مستلقية على الفراش تقاوم النعاس وحقيبتها قريبا ,  
كيف أنها دلفت الى المتحف كزائرة قبل أن تجد التمثال المصنوع بخليط من الزمرد الأزرق والياقوت الطبيعي والزرقون المرصع بالماس ,  
التمثال الذي تقبع بداخله كل الخرائط التي ستقودها الى قصور تقبع في باطن الأرض وبحار ومحيطات بل عالم بأكمله ثم غطت في نوم عميق لايعكر صفوه شئ .

إقترب منها ذئب مخيف عينيه تحمل كرها لاحدود له وتتوعد بالانتقام ,  
أخذ يدور حول فراشها مرددا بصوت خلع قلبها من صدرها .. إيفان هو إبنى أنا والده إنه إبن الذئب الذي فضل الأخرى دفن أنفسهم بالحياة على أن يكون عدو لهم ,

سأقتلك كما قتلتهم وكما قتل هو إبنى الأول في مهده ونشر حولي الشائعات أخبرني والدك بذلك مازلت أبحث عنه حتى لو تظاهر بالموت وهو على قيد الحياة ,

سأقتله كما قتل أمي وأبي وإبنى وسأقتلك لأدمر حياته كما دمر حياتي ,  
إخبريه بأن سنائي قادم .. سنائي قادم .. سنائي قادم .

كابوس غريب قامت منه سندرا فزعة وخائفة وهي تخطف حقيبتها وتقف أمام الصور المتناثرة على الحائط بخوف وذهول تنظر الى صور سنائي وإيفان وركبتيها ترتجف رعبا قبل أن تطلق ساقيها للريح مبتعدة عن ذلك الكوخ ومن فيه .

لم تتوقف لحظة لتفسر مآرأته في نومها يكفي فقط بأن صور الذئب الذي زارها في المنام متوعدا تملأ تلك الغرفة .  
بدا لها الطريق طويلا جدا وكأنها عبرت أعوام وسافرت عبر الزمان لتأتي الى ذلك الكوخ في قلب الجبال .  
إنها ضائعة الآن وتدور في حلقات مفرغة حول المكان , كل الطرق متشابهة ومتشابكة والأشجار كثيفة ومخيفة والظلام يهبط بشدة دون سابق إنذار .

ماذا لو كانت في غابة مليئة بالذئاب والحيوانات المفترسة ؟  
تسائلت سندرا وهي تلتصق بشجرة طويلة بعد سماعها لصوت صفق الأشجار الجاف الذي يملأ الأرض يتحرك تحت أقدام حيوان ما ..  
ماذا لو أن ما رأته حقيقة او تحذير من وقوع شئ فطالما كانت تتبأ بحدوث أشياء وتحلم بأخرى تحدث معها لاحقا؟  
كل ما هي فيه الآن حلمت به من قبل حتى تلك المدينة تحت الأرض لكن لماذا لم تتنبأ بشأن إيفان أو الذئب ؟  
مازالت تذكر مآقراته في أحد الكتب وهو أن الأشخاص الذين يملكون قوى خارقة وأشياء فوق العادة يحجبون أنفسهم عن كل المتطفلين عليهم ..  
ربما لذلك لم تعرف بشأنهما .  
أحست بالخطر يطوقها ويقترب منها , فرؤيتها لذلك الذئب في منامها وحجبها عنه فيما مضى يعني بأنه قريب جدا منها ,  
بأنه إستم رائحة دمها وعرف من هي .  
وقبل أن تفعل شيئا ظهرت أمامها عينان تبرقان كما رأتهما تماما بكل ذلك القدر من الرعب والكرهية وكاد جلدتها أن ينسلخ .. إنه سنائي

عاد إيفان الى الكوخ بعد رحلة صيد موفقة بين الأدغال الشرقية , وضع بندقية الصيد في مكانها المخصص على الحائط وتسلل نحو المطبخ بحرص حتى لايسبب الإزعاج لسندرا النائمة بالأعلى.

وضع الغزال على الأرض وشرع في تجهيزه ليصبح وجبة لذیذة يقدمها لسندرا بعد إستيقاظها من النوم .

بينما الشواء على النار والروائح الذكية تفوح منه حاول إيفان إشعال المصباح الوحيد المتوفر في الكوخ ووضعها في مكان مناسب ينير الكوخ بأكمله ثم تمدد على الأريكة يترقب إستواء الطعام وسندرا .

غطى الظلام سلسلة الغابات والاماكن المجاورة للكوخ وتعجب من إمكانية سندرا في النوم كل تلك الساعات وكأنها في عداد الأموات وسولت له نفسه الإطمئنان عليها .

خلع حذائه وصعد السلم على أطراف أصابعه ليتأكد من إنها لم تمت بعد بل نائمة كل هذا الوقت ,

ووجد أمامه مفاجأة كبيرة فسندرا لم تكن بالغرفة وكان الفراش خاليا .

وقف مشدوها لبرهة من الوقت يكذب عينيه ماترى وهو يتحسس الغطاء المبعثر ويبحث في الغرفة الفارغة وكأنه يبحث عن إبرة في كومة قش .

إين تراها قد ذهبت تلك المعتوهه ؟ تسائل وهو يعود أدراجه الى الأسفل ليرتدي حذائه ويصب الطعام على الأواني محدثا نفسه :

\_\_ لا بد من أنها هربت الى مكان ما , تلك الفتاة مصابة بالجنون بلاشك لاتفتئ تهرب من مكان الى آخر , لايرتاح لها بالا إن لم تركض مثل المجرمين وكان جيوش من الشياطين تلاحقها ..

حسنا لقد إرتبكت خطئا فادحا حين وثقت بها وتركت باب الكوخ مفتوحا أين ستذهب وسط هذه الغابات والأدغال أنظن نفسها ستنجو في هذا الظلام , ستعود لاهثة الى هنا وقطعان من الذئاب المفترسة في إثرها ..

توقف إيفان عند هذه النقطة وقد تذكر بعض الذئاب التي تظهر من حين لآخر في هذه الغابات وتنقض بشراسة على البشر وكأنها تنتقم منهم ..

ماذا لو وقعت سندرا فريسة لأحدهم وهو الذي أحضرها الى هنا ليحميها  
من شئ ما والأن يتركها لمصيرها هذا إن كانت حية ترزق وخرج مسرعا  
في إثرها والخوف ينهش قلبه ماذا إن لم يجدها ؟ ماذا إن إلتهمها أحد  
الحيوانات ؟ ماذا إن عادت الى الكوخ ولم تجده ؟  
أسئلة كثيرة تدور في ذهنه وهو يركض الى الغابة المشبوهة دون أن  
ينتبه الى أنه يركض على قدميه ويديه معا كما تركض الحيوانات بل كذئب  
تماما لا أحد من البشر ويصدر عواء مخيف بين الفينة والأخرى .

ضمت حقيبتها الى صدرها والذئب الضخم يقترب منها بشعره الكثيف ونظراته المرعبة .

\_ سناي .. أنت سناي ذئب والد إيفان أليس كذلك , أنا صديقة إيفان هو ينتظرني الآن في الكوخ , الكوخ الذي بناه أكاي لك وتركته لإيفان ليكتب فيه لأنه كان بارعا في الكتابه في صغره إيفان يحبني وسيكرهك إن أدبتي . دار سناي حول الشجرة التي تلتصق بها سندرا , لم تكن تكذب في كل كلمة نطقت بها إذا هي تلك الفتاة التي كان يتحدث عنها ابنه ؟ كيف يعقل أن تكون ابنة عدوه صديقة إيفان؟

واصلت سندرا بشجاعة متجاهلة تسارع دقائق قلبها وهي تضغط على سناي بنقطة ضعفه الوحيدة :

\_ إيفان أكاي طالب في السنة الأخيرة بكلية الطب , يعشق مهنته أكثر من أي هواية أخرى , الكوخ حيث كنا قبل قليل به غرفة في الأعلى مليئة بصورك لذلك عرفتك على الفور كما أن إيفان لا يكف عن الحديث عنك , إنه يحبك كثيرا وفوق ماتتصور لاحديث له إلا عنك حياة إيفان الخالية انا وأنت ووالده أكاي أهم من فيها لذلك لايمكنك قتلي وإلا سينقلب عليك ويكرهك مدى الحياة ,

لقد أحضرني الى الكوخ ووعدني بحمايته لي , قطع لي وعدا بأن أجد الأمان قربه فكيف تجعله يعيش كل حياته في الندم إذا تأذيت بسببه , سيموت صدقني أنا أعرفه سيموت .

بعد بحث دام سنوات ذهب فيها سناي الى إفريقيا ليلحق بعدوه الذي أخبر العالم أجمع بأنه عثر على قطيع من الذئاب يتحدث كالبشر ويفوق ذكاء أي أحد على ظهر الأرض , والدها الذي دمر حياته بسبب الأبحاث والإكتشافات دون أن يرف له جفن ,

والدها الذي إصطاد أخيه الأكبر وابنه الصغير ذو الأسابيع الى مختبره ومعالمه وشرح كل جزء فيهما وهو يتباهى بفعلته الشنيعة على وسائل

الأعلام دون مراعاة لمشاعر سنאי وأسرته وهم يرون أخيهم وإبنهم مقطعون الى أجزاء تعرض على التلفاز ودمائهم تملأ المكان.  
والدها الذي نشر صورته وبقية القطيع في كل مكان للقبض عليهم وتشريحهم كما فعل من قبل لينال جائزة تلو الأخرى بموتهم ,  
كانوا يعيشون في سلام وأمان لكنه لم يتركهم لذلك السلام وأعلن عليهم الحرب وكان شهرته كمكتشف مدن وقارات لم تكفه فقرّر إمتهان مهنة أخرى وهو يعلن في كل لقاء إعلامي بأن هذا الكون لن يتسع لهما معا هو والذئب الناطق وقطيعه فلا بد أن يجده ويكتشف كل ما يكمن داخل جسده الضخم مهما طال الزمن .

هاهي الاعوام تمضي منذ آخر لقاء لهما هرب بعده والدها الى إفريقيا ليختبئ منه بعد أن أوهم العالم أجمع بموته في حادث سيارة راحت ضحيته زوجته وسائقه في إحتراق تام للسيارة .  
لم يكن أمام سنאי فرصة للإنتقام من عدوه أكبر من هذه ,  
أن يقتل إبنته ويشرحها ثم يرسلها إليه في كل وسيلة إعلام ليخرج من جحره ويأتي إليه بقدميه .

دماء عدوه تضح داخل هذه الفتاة ولاشئ يخدم ناره أكثر من شرب دماء عدوه الآن وتمزيق لحمه لاحقا عندما يتقابلا ..  
سينساها إيفان مع الوقت , لكنه لا يستطيع نسيان إنتقامه منها ومن أسرتها

لالتردد ياسنאי فهو لم يتردد حينما قتل إبنك في مهده قالها سنאי وهو يستلذ برائحة الدم التي تفور في جسدها فوراً .  
لم يستطيع مقاومة رائحة دم عدوه , حاول ان يتراجع من أجل إبنه لكن من الصعب عليه فعل ذلك وهو يستعيد ما حدث في الماضي لاشئ يمنعه من قتلها ,  
لم يترك له والدها سبب واحد ليعفو عنها .. ولا سبب .

شعرت مالكة الدار بالقلق ينهش قلبها على سندرا , تلك الامانة التي تركها والدها قطعة لحم بين يديها , فحرصت على رعايتها بنفسها وتربيتها .. هي تعلم بأن سندرا ذات العشرون عاما فتاة مغامرة وطائشة وربما يقودها طيشها يوما الى ما لاتحمد عقباه .

أرادت رفع سماعة الهاتف والتحدث الى الشرطة ثم تراجعته وقد تذكرت بأنهم كانوا هنا وقت الظهيرة يسألون عنها مدعين بأنها سرقت تمثال قيم من المتحف القومي وبأنها لن تغفلت بفعلتها هذه المرة بل سيتم تحويلها للعيش في مصح عقلي لن تجرؤ على الخروج منه لبقية حياتها .  
الدار هادئة والفتيات نائمات لأنهن سيذهبن الى الجامعات والمدارس في الصباح الباكر ,

لا أحد قلق بشأن سندرا فالجميع يعلم بأنها ستعود الى الدار غدا أو بعده كعادتها دائما بعد كل غياب .

الكثير منهن يحملن لها البغض لما سببته من سمعة سيئة للدار وللعقاب الذي يتعرضن له بسببها في كل مره ,  
لقد خسرت سندرا الجميع في الدار وتغيرت نظرتهم لها وكأنها سارقة ملعونة ,

من قبل كانوا يحبونها لبساطتها وطيب معشرها لكن منذ أن إمتهنت السرقة لم يعد لها أصدقاء لا في الجامعة ولا الدار ,

الآن هي وحيدة تماما وليس بقربها أحد سوى رفيقها الجديد إيفان والذي سيتركها هو الآخر إثر معرفته بأنها سارقة والشرطة تلاحقها .

كانت المالكة تشفق بشدة على هذه الفتاة البائسة وماتجلبه على حياتها من النحس كلما تذكرت والديها والشهرة الواسعة التي تربعا على عرشها لسنوات طويلة قبل رحيلهما من الدنيا..

دوما تسائلت عن سر إنحراف سلوك سندرا وإن كان تدليلها المفرط لها السبب في ذلك .. وإلا كيف لطفلة عبقرية تحرز أعلى الدرجات وتتفوق على أقرانها وكأنها تحلم بالإمتحان قبل يومه أن تتحول بين ليلة وضحاها

الى فتاة سارقة ومهوسة تهذي بأشياء لا وجود لها وتحترف التسلل الى  
المنازل ليلا ونهب آثار البلاد .  
لم يكن ينقصها شئ لتسرق فكل ماتتمناه تجده حاضرا ,  
حياتها في الدار يحسدها عليها الكثيرون لكنها لم تكن راضية عنها يوما  
ولا عن الدنيا كلها ,  
لم تكن مثل الفتيات الأخريات تحب صرف النقود على الثياب والمكياج  
والتبضع والأشياء الأخرى التي تغرم بها الفتيات في مثل عمرها ,  
بل كانت فريدة ونادرة في كل شئ وكأنها حورية من الحوريات  
الصارخات الجمال .. ذلك الجمال الذي لم ينقص منه ذرة بطريقة لبسها أو  
حياتها , فحتى أثناء وجودها في مراكز الشرطة كانت تسيل لعاب الضباط  
وهم ينظرون إليها مفتونين .



سناي .. توقف .  
صرخ بها إيفان وهو يدفع الذئب بعيدا عن سندرا ويقف بينها وبين سنאי  
لا هثا .  
سقط سناي على الارض وإرتطم بها بقوة لدرجة لم يتمكن معها من  
النهوض على الفور ,  
لكن عدم قدرته على النهوض لم يكن لضعفه بل لأن قلبه ألمه بشدة في  
تلك الاونة وهو يرى أمامه ابنه الذي فعل المستحيل لأجله يدفعه ويرمي به  
أرضا من أجل حماية فتاة هي ابنة عدوه ..  
ألمه لا يوصف ودمعة مقهورة تفر من عينيه وهو يجرجر أذيال الهوان  
ويبتعد .

أهذا إيفان ابنه الذي فداه بروحه ؟  
لأول مرة في حياة سناي شعر بالعجز والألم والغدر , شعر بخيانة  
عظمى لا سابق له , شعر بأن والد سندرا لم يفعل ما فعله إيفان به .  
إنفتحت إيفان الى سندرا بقلق قائلا :  
\_ هل أنتي بخير .

هزت رأسها وقد شعرت بالخطأ الذي إرتكبه إيفان في حق والده بسببها  
حتى خيل لها بأنها رأت الدموع تنهمر من عيني سناي وهو ينظر إليه غير  
مصدق ما حدث قبل أن يبتعد ويتركهما .  
لم تعرف كيف تطلب من إيفان تركها واللاحق بوالده لكنها سارت قربه  
بصمت الى الكوخ وهو يوبخها ويعتذر عن تصرف ذئب والده ويصب كل  
غضبه عليه وهو يهدد بأنه سيوثقه بعد الان حتى لا يؤذي أحدا .  
مادام ابنه قد ألقى به على الأرض فلم يعد يفرق مع سناي إن قيده بحبال  
أو تركه طليقا .

إنفتحت إيفان الى سندرا قائلا بعصبيية :  
\_ هل أنتي مجنونة كيف تخرجين دون أن تخبريني , هذا المكان خطير  
للاغاية وإن لم أصل في الوقت المناسب لكنني الان في عداد الاموات .

تحدث إيفان طيلة طريق العودة ولم تنبس هي ببنت شفة , فما رآته بعينها في هاتين اليومين لم يترك لها مجالاً للحديث .  
بضعة ثواني فقط وستكون عظام متناثرة في هذا المكان لولا إيفان.  
ثم نظرت إليه متسائلة لماذا يحاول حمايتها دائماً وينقذها في كل مرة  
توشك فيها على الهلاك ؟

إنه حتى لا يعرف من هي فكيف يفعل كل هذا لها؟  
أهو يخاف عليها بكل هذا القدر الذي يقفز من خلف عينيه ؟ وإقتربت منه  
أكثر لتسير قربه وقد أحست بأن لا أحد لها في الدنيا سواه ,  
لطالما شعرت بالخوف وعدم الأمان وبأنها وحيدة في هذه الدنيا لا تملك  
سوى صوراً وزكريات عن والدين تسمع عنهما من الآخرين لكنها تشعر  
الآن بأنها عثرت على أم وأب وإخوة وأمان .

\_ وجدت نفسي تائهة وحائرة ووحيد مع الكثير من الألم في قلبي الم لعده من قبل يسرى ببطء ليحتل قلبي ويصيني بكثير من التعب والضياع ووحدة أحتاج فيها الى صدر لأرتمي عليه وابكي الى شخص يحبني كثيرا يمسك بيدي ويقودني الى بر الامان  
انا اتخبط في فراغ لانهاى اريد قشة تنتشلني من البحر الذي غرقت به لماذا أنا وحيدة بكل هذا القدر ؟

لماذا لا أجد قلب يحتويني بداخله وينغلق علي الى الابد لماذا أحمل كل هذا الهم على كاهلي دون أن يشاركني فيه أحد ؟  
بالرغم من أنني في العشرين في عمري لكنني أشعر بأنني كبيرة للغاية ربما في الثمانين من عمري أمضيت عشرون عاما وحدي بلا أحد ,  
أكتم أوجاعي بقلبي فلا قلب أتكى عليه لأشكي تمنيت لو كانت أمي هنا تمنيت ذلك كثيرا ربما أكثر من سنوات عمري العشرون وطلبت منها أكثر من ذلك وأنا أنظر الى السماء حيث ذهبت بأن تأخذني إليها لأنني أحتاجها بشدة ,

عشرون عاما من الوحدة والألم واللا حياة لاكتشف في آخر رحلة العذاب بأن والدي مازال على قيد الحياة , لماذا لم يأخذني معه الى حيث ذهب ؟  
لماذا تخلى عني وانا قطعة منه ؟ لماذا رماني في الدار وغربني عن الحياة؟

إلتفت إليها إيفان بتأثر وكأنه إستشعر عمق ذلك الألم الذي تعيشه , كأنه مر بتجربة مماثلة وزكريات مماثلة  
فتلك الكلمات التي خرجت بمرارة من أعماق سندرا وهما يسيران نحو الكوخ وكأنها تحدث نفسها مست جزء عميق منه ,  
لم يعرف ماذا يجب عليه فعلة لكنه جذب يدها الصغيرة ووضعها على قلبه قائلا :

\_ هنا يمكنك البقاء بأمان أتعهد لكي بذلك , هنا سأحتويك وأغلق عليك كل الأبواب أتعهد بأن أكون لك المنزل الدافئ الذي إفتقدته في الدار والقلب

الحنون الذي يمنحك ما بخل به القدر عليك أتعهد بأن أكون أسرتك ودارك وحامل همك ومخفف آلامك.

نظرت سندرا الى عينيه تبحث عن الصدق ويدها تستشعر دقات قلبه القوية , لماذا تحمل عينيه كل هذا الصدق وكأنه عاش تجربتها وأحس بكل مامرت به؟

\_ إيفان لماذا تفعل كل هذا ؟

\_ لأنني أدرك كم هو قاسي ومؤلم هذا الشعور , ألا تجد من يسمعك ويحميك ,

أن تبحث عن شعلة ضوء والظلام الدامس يملأ عالمك الصغير, أن تصرخ وتستنجد فلاتجيبك سوى الجدران ,

أن تدوس عليك أقدامهم وأنت برئ براءة الذئب من دم يوسف وتأكل من الأرض كالحوانات ,

أعرف هذا الشعور المرير ياسندرا صدقيني أعرفه .

شعرت بالخوف من نبرة صوته الغريبة وتغير ملامحه المفاجئ وكأنه شخص غريب تماما مهدود ومنكسر وذليل وحاقد على الإنسانية أجمع .

\_ أنت تهول الأمور كثيرا , الدار ليست قاسية الى ذلك القدر .

صرخ إيفان بوجهها والشرر يتطاير من عينيه :

\_ بل أقسى من ذلك , أنتي لاتعرفين شيئا .

تراجعت سندرا وهي تنظر إليه بخوف وذهول , لكنه أدرك الخطأ الذي ارتكبه وصراخه في وجهها فأعتذر قائلاً وهو يتقدمها نحو الكوخ :

\_ أعتذر بشدة , لا أعرف ما الذي يحدث معي .

دلفت خلفه وهي تغلق الباب بإحكام قائلة :

\_ يبدو أن الحديث عن دور الأيتام واللقطاء يصيبك بالتوتر ؟

إرتمى على الأريكة وهو يقول :

\_ يبدو لي ذلك فليست هذه المرة الأولى التي أشعر فيها بأني أنسلخت من جلدي عندما يتطرق أحدهم لمثل هذه المواضيع .

\_ ألسنت أبن الدكتور أكاي ؟

\_ بالطبع إنه أظننين بأني مشرد ؟

\_ لا أقصد ذلك لكن نبرة صوتك أخافتني بشدة حتى خلتك تتحدث عن نفسك .

\_ لالا لم أرى في حياتي مثل تلك الأماكن .

إذا لنقم بزيارتها معا , ربما تتغير نظرتك البائسة لها ؟  
حسنا , في وقت لاحق دعينا نأكل الآن .  
إسترخي أنت سأجلب الطعام وأعد لنا مشروبا مثلجا .  
هناك عصير برتقال في الثلاجة تأكدي من صلاحيته .  
حسنا .

بحث الطبيب عن سنائي في المختبر كله لكنه لم يعثر له على أثر فنأدى على مساعده ليستفسر منه عن مكانه .  
ثمة حديث بينهما لم يكتمل وعليه معرفة القصة كاملة من سنائي قبل أن يأخذ إيفان ويغادر .

وضع مساعد أكاي ورقة بيده ردا على سؤاله وهو يقول :  
\_ لا أعرف أين سنائي , ربما بدا لي محطما ومجروح الفؤاد حين ترك لك هذه الرسالة وخرج يركض مسرعا , هذه الحالة تنطبق تماما على حالته عندما تركنا من قبل وإختفى كل تلك السنوات دون أن نعرف عنه شيئا .  
شعر أكاي بالقلق وهو يفتح الورقة المطوية التي تركها له سنائي ..  
الرسالة عبارة عن كلمة واحدة في منتصف الورقة هي (وداعا) .  
قفز الفزع من خلف عينيه وهو يتسائل بصدمة حادة :  
\_ وداعا ؟ ماعنى هذا ؟

نظر إليه مساعده وعينيه تتفحص الورقة بإهتمام قبل أن يهمس :  
\_ رحل .. سنائي رحل ياسيدي .. رحل .  
أوشك أكاي على السقوط لكنه إستند على الحائط بيده في آخر لحظة وقد ملئت الدموع عينيه بشدة ..

\_ لماذا رحل ؟ من الذي سبب له الأذى ؟  
حاول مساعد أكاي معاونته وهو يمد له يده ليعتدل ويجلس على المقعد ..  
\_ سيدي أرحم نفسك قليلا , لا بد أن يعود الى هنا أنت تعلم بأن سنائي لا يستطيع العيش من دونك كما يعلم هو بأنك لا تستطيع البقاء بعيدا عنه طويلا , سيعود حتما ياسيدي مهما طال الزمن أو قصر من أجلك أنت وإيفان .

إنهمرت الدموع ساخنة من عيون أكاي بصمت ,  
مساعده كان يفهم الحالة التي يمر بها سيده فهي ليست بالغريبة عليه ,  
كما أنه يعلم متانة العلاقة التي تربط بين أكاي وسنائي منذ سنوات بعيدة ..  
منذ اليوم الذي خاطر فيه أكاي بحياته لينقذ أم سنائي من وسط النيران

التي إلتهمت الغابة بأسرها وهرب الجميع لكنها لم تستطع اللحاق بهم لأنها كانت على وشك الولادة . .

لقد دخل الى قلب النار بقدميه وحملها عائدا بها الى بر الأمان والحروق تملأ جلده .

يوم جاء سنائي الى الدنيا فرح به أكاي وكأنه ابنه وإعتنى بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة ,

ثم لاحت معالم الذكاء الخارق على سنائي فلم يبخل عليه الطبيب بشئ ومنحه كل مايستطيع محب منحه لحبيبه من مقدرات وتطوير وقدم له المحال .

شئ فشى سمع باقي القطيع وعرف مكان وجود الام وإبنها وتوالت رحلاتهم لمختبر أكاي , ثم خصص لهم مكان إقامة ومنحهم مامنح سنائي من مميزات وإكتشافات .

كل هذا قبل أن يزوره ذلك المكتشف الحقيير في مختبره ويكتشف سره الدفين ويترصّد لقطيع الذئاب الواحد تلو الآخر .

سنوات مرت وأكاي يحاول حماية ذئابه من البشر بدمه وروحه لكن القدر يأبى دعمه والوقوف معه .

سنائي ليس مجرد ذئب بالنسبة إليه , إنه ابنه الذي مات مع زوجته في الماضي البعيد ..

إنه فرحة وضحكات ملئت عالمه الحزين يوم حمله بين يديه وهو قطعة لحم صغيرة للغاية وقام بتنظيفه وتقيله.

إنه أول سعادة تطرق بابه بعد أعوام من الحزن وتعويض من الله على فقده زوجته وإبنه .

مرة أخرى فقد أعز مالديه دون سابق إنذار , لم يتبقى له سوى إيفان . هتف أكاي بمساعده :

\_\_ إيفان .. أين إيفان هل ذهب مع أبيه.

\_\_ لا ياسيدي إيفان في الكوخ , هذا ماقاله لي سنائي وهو يعطيني الرسالة

\_\_ ماذا يفعل في الكوخ في مثل هذا الوقت المتأخر , إحضره لي سريعا أرغب في التحدث إليه .

\_\_ أعتقد ياسيدي بأن رحيل سنائي له علاقة وطيدة بإيفان , لقد كان يبكي بحرقّة صدقتي لم أره من قبل منكسرا مثل اليوم وأنت تعلم بأن لا أحد

يستطيع التأثير في سناي سوى المقربين منه .  
حضر إيفان مسرعا لتلبية نداء والده وسندرا في إثره , تركها في الخارج  
ودلف الى غرفة والده يروي له مافعل سناي وكيف حاول إلتهام صديقتة ثم  
ختم حديثه برغبته في سجن سناي وتقييده .  
\_ لقد رحل سناي بسببك ؟ تركنا الى الابد .

\_ ليذهب الى الجحيم .  
صفعه أكاي على وجهه وهو يقول من خلف دموعه :  
\_ أنت ابن عاق .. لن أسامحك ماحييت على فعلتك .. إخرج من غرفتي  
الآن فلا خير فيك .

بعد النقاش الحاد الذي دار بين إيفان وأكاي شعر إيفان بالحزن على والده  
من فراق ذنبه الذي كان يقضي كل يومه برففته وقدّر ذلك الحزن والألم  
الذي يعيشه أباه أملا في عودته الى طبيعته ذات يوم .



مرت السنوات .. سنة تجر خلفها الأخرى , لم يعد سنائي وإختفى كأنه لم يكن سوى حلم عابر أو قصة بين صفحات كتاب مهترئ في أحد الرفوف الخشبية القديمة .

لم يبرح أكاي غرفته طيلة تلك السنوات , وتولى إيفان إدارة كل شئ بعد تخرجه من الجامعة حتى مختبر والده الغريب والحديث وذاع صيته بين الدول العظمى حيث لم يكن يشق له غبار كوالده الدكتور البارح .

أكملت سندرا دراستها الجامعية وتفرغت لإدارة الدار بعد موت المشرفة وإعادتها جميع المسروقات وتطهير كل الأخطاء عدا إحفاظها بالخرائط التي وجدتها داخل التمثال والتي لايعلم بها غيرها .

بدأت الحياة تسير بصورة جيدة وكل شئ على مايرام .  
الصلة القريبة بين إيفان وسندرا تسلك منحنيات جديدة كل يوم , تارة صداقة وتارة أحاسيس أخرى توأد في مهدها .

الوحدة التي حاصرت إيفان بعد رحيل سنائي وملازمة والده الفراش وصمته المهيب جعلاه يعتكف في الكوخ يكتب لساعات , يحتسي فنجان قهوة تلو الآخر ويكتب بلا وعي ليل نهار .

بدأت الزكريات القديمة تتدفق على الورق بوحشية وغازرة دون ان يشعر بها , الطفولة المغتصبة .. الدار .. الهروب .

صار يكتب كما لم يكتب من قبل وكأن نيران تحترق بداخله لايمكن إخمادها إلا بالكلمات .

طبع رواية تلو الأخرى , قصص غريبة في كل رواية يصدرها وحكايات لايصدقها عقل .

وقف البعض مشدوها .. أحفائق مايسردها الكاتب إيفان أكاي أم خيال ؟ كيف يمكن أن يحدث كل هذا على ظهر الأرض .. ذئاب تتحدث وبشر يقتلون ملائكة وأطباء يعدلون ما لايمكن تعديله .. ومكتشفون يصلون الى كنوز ومدن تحت الأرض.

إختلط الخيال بالحقيقة وإيفان يكتب دون توقف .. النيران تزداد إشتعالا

بداخله .. وكتبه تغرق الأسواق وتحقق أعلى المبيعات لا يسمع لناقد ولا  
مادح ولا يلتقي بإعلام ولا يهتم لشيء سوى رغبة الكلمات التي تلح عليه  
وتقسم أن توصله الى حقيقة كل ما يكتبه بين الصفحات .. وقد فعلت؟!!

طالما خاف أكاي من هذا اليوم , روايات إيفان تحدث ضجة لامثيل لها في التاريخ وهو لايفسر شيئاً لأحد ..

القراء يرغبون في المزيد لإكتشاف مايريد إيصاله إليهم من كتاب الى آخر , وأكاي ومن معه يلتهمون تلك الكتب في ذهول , مالم يعرفه أكاي من سنائي نفسه عرفه من روايات إيفان .

كيف حدث هذا ؟ كيف يعقل أن يكتب إيفان كل هذا بأدق التفاصيل والجرأة والإحتراق ؟

لماذا لم ينسى رغم مسح ذاكرته القديمة من كل تفاصيلها ومنحه حياة جديدة وذاكرة جديدة ؟

لماذا لم ينسى ماعاشه في الماضي وبأنه إيفان أكاي وليس ذلك الشخص الذي يكتب إسمه في كل الروايات وهو إسمه السابق في الملجأ ؟ كيف عرف كل ذلك وقد أحرق أكاي دفتر المذكرات بيده وكل مايمت لماضي إيفان بصلة ؟

إنه لأمر عجب .. ؟!

ألم أكبر من أن تمحيه ذاكرة وظلم أكبر من أن يمحيه إسم جديد وحياة جديدة ؟ وإنتماء أكبر من أن تزيله أوراق وقارة أخرى ؟ لم يخبره أحد عن حقيقته ولايمكنه ان يتذكر ماحدث مهما فعل لكن ما يحدث معه لا يصدقه أحد ؟

أين يرغب في الوصول بكل تلك القصص التي يرويها ؟ كيف يصف بدقة مدن وقارات تحت الأرض وكأنه عاش فيها ورآها بأمر عينه ولم يصفها له أحد ولم يكتب عنها قبله ؟

كيف يتهم سلطات وملاجئ وبلاد بالخيانة العظمى ؟ من يقصد بكل هذا ولماذا ؟

إنه يذكر أسماء من الواقع وأماكن يجزم البعض بأنها في إفريقيا وأشخاص ماتوا بطريقة غريبة للغاية وأغلقت قضاياهم المجهولة والحيرة والخوف تملأ الوجوه وهم يترقبون الضحية التالية ؟

أكاي مثل الجميع قاوم المرض يترقب رواية إيفان الجديدة لمعرفة الضحية التالية .

وصعقه ما قرأ بعد صدور الرواية ,  
في أقصى الكرة الأرضية ذئب يخاطب أكبر مكتشف في العالم ويقتله  
ببطء كما فعل مع غيره, وصف المكان والزمان والأسماء بدقة لامثيل لها  
وكأنه كان هناك بالفعل .

سقطت الرواية من يد أكاي المرتجفة وقد عجز عن معرفة الكيفية التي  
يكتب بها إبنة وكيفية معرفته للأحداث والأسماء , حتى لأنه ذكر إسم والد  
سندرا كاملا مما جعل الشرطة تعتقله وتحقق معه في الكثير من القضايا .

لكن كيف يجيبهم وهو لا يملك الجواب ؟

إنه مجرد كاتب يكتب فقط لا أكثر ولا أقل ..

وفتحت الدفاتر القديمة والقضايا العالقة وطلب أكاي وكل من يعمل معه  
للتحقيق , وبدأ البحث عن سنائي مرة أخرى وكان الجميع قد عرف بشأنه  
وبأنه القاتل في كل تلك القضايا .

وكان السؤال لماذا يقتل ذئبا كل أفراد الإدارة في ملجأ كامل وكل من  
تعامل معهم في تلك الأربعة عشر عاما ويمحهم من الوجود كأن لم يكونوا  
؟ ثم رحلة أكاي الى إفريقيا ؟, ثم ظهور إيفان المفاجئ ؟

وأخيرا توصل إيفان الى نهاية كتاباته وبدأت النيران تخمد رويدا رويدا  
عندما إنجلت حقيقته لكل العالم وبأن الروائي العالمي والدكتور المشهور  
إيفان أكاي لم يكن سوى ذلك الفتى البائس الذي قتل سنائي الجميع إنتقاما له .

ولاح السؤال الذي لم يتمكن أحد من الإجابة عليه حتى هذه الأونة وهو  
لماذا فعل سنائي كل ذلك لإيفان ؟

بعد فحوصات شاملة قفزت أسئلة مرادفة ..

لماذا يحمل إيفان دم الذئاب في جسده ؟ أهو بشري أم ذئب ؟ الى من  
ينتمي وكيف عاش بين البشر بتكوين الذئاب؟ إن كان ابن سنائي فمن هي  
أمه ؟

حتى إيفان نفسه لا يملك الجواب ..

ودع إيفان القراء وحزم حقايبه وعاد الى إفريقيا بحثاً عن الحقيقة أو سنائي؟ بحثاً عما قادته إليه رواياته الحقيقية الخيالية؟  
 عندما كان يبحث عن أصله في قلب القارة السمراء حصدت كتبه كل الجوائز وانتشرت إنتشار النار في الهشيم وملئت الكون .  
 سبقته شهرته الى كل مكان ذهب فيه بحثاً عن الحقيقة , وهم ينادونه بإبن الذئب , لا أحد يناديه بإسم إيفان أو أسم الملجأ منذ أن عرفوا بقصته .  
 البعض أوجس منه خيفة , والبعض أراد الغدر به كما فعلوا من قبل بسنائي وهم ينصبون له الشرك واحدا تلو الآخر لينفردوا به في مختبراتهم ويمزقوا جلده قطعة قطعة للتشريح والإكتشاف .  
 هناك بين جدران دار العجزة إنتشرت قصة إبن الذئب من يوم مولده وحتى آخر رواياته .  
 إنحدرت دمعة مريرة على خد العجوز الجالسة على الكرسي المتحرك وهي تتذكر سنوات عمرها الماضية .  
 أدارت الكرسي بمساعدة الممرضة نحو الغرفة وتركتهم لتنزوي في ركن الغرفة القصي تبكي بحرقه وتهمم :  
 \_ إنه إبنني .. إنه إبنني أنا ..  
 لم تكن تبكي وحدها في تلك اللحظة , سنائي في مكان ما شاركها البكاء .  
 بكى سنائي حزناً وفرحاً ..  
 حزناً لأن إبنه إكتشف الحقيقة التي حاول حمايته منها بكل الطرق ليقوده إليها عندما طلب من أكاي حثه على الكتابة ومنحه الكوخ .  
 وفرحاً لأن إيفان لم يكف عن مناداته بوالدي في كل رواية من رواياته وظل يفتخر بأن والده الذئب قد فعل المستحيل ليصل الى ما هو عليه اليوم ولن يخذله أبداً ,  
 لن يعود للضياع الذي إنتشله منه بل ذهب لأبعد من ذلك وهو يقسم لسنائي بأنه سينتشل كل الضائعين في العالم ويقدم له الحماية والأمان كذئب رحيم كما فعل هو , و يعالجهم كطبيب نبيل يخرج أفضل مألديهم ويمنحهم

كل ما يستطيع كما فعل أكاي .  
آخر توقعاته كانت لسندرا ,, بأن عودي الى إفريقيا بلاد أمك لتكوني  
سندي ورفيقتي يا ذات العينان الخضراوان ,,  
دوما ظل يؤمن بأن سندرا جزء من حياته وبأنه مسئول عنها وحده  
ولن ينسى وعده لها حتى يدفن تحت التراب, يكفي أنها تركت كل أحلامها  
ورحيلها من الأرض الى الأبد من أجله .  
لحقت سندرا بإيفان الذي هد الملجأ وأقام مكانه آخر أكثر أمانا ورفاهية  
وراحة , وآلات تصوير تربط كل ركن فيه بغرفة تحكم حديثة يديرها بجهاز  
صغير من على البعد وشاشات تعمل على الملمأ لا يخفى على أحد منها خافية

منزل كبير وديار آمنة إحتضنهم فيها كأب حنون وسندرا الأم الرؤوف .  
ورده ذات يوم إتصالان بعد خروجه من غرفة العمليات بالدار بعد عملية  
ناجحة تمكن فيها من إنقاذ ملاك صغير حاولت والدته خنقه بالحبل السري  
ورمته ظنا في موته لكن إرادة المولى أنقذته ليمنحه إيفان الحياة الكريمة .  
الإتصال الاول من دار للعجزة , امرأة تدعي بأنها أمه .. بأنها خافت  
أن يقتلوه و ....  
وأغلق الهاتف بوجهها قبل أن تكمل رواية من سراب واعدار واهية ,  
ليلحق بفريقه وهم يحملون طفلا آخر الى غرفة العمليات وكل إعائه خارج  
جسده .

الإتصال الثاني جاءه وسط الدموع الحارقات على فراق ملاك آخر غادر  
دنيا البشر وعاد الى السماء حيث موطنه القديم ,,  
أخبروه بأنه حاز على جائزة نوبل العالمية وعليه الحضور

بين جدران ذلك القصر الموحش تحسس سنائي آثار دماء قديمة على الأرض ..

تذكر ذلك اليوم وهو يهرب من قدره المشئوم .. كيف قادته إرادة الله الى هذا المكان المهجور .. ليسترقي السمع الى الأصوات وضحكات الموت فيه ..

عرف من أصواتهم وحديثهم بأنهم أفراد من كتيبة معادية للبلاد أحضروا معهم أسيرة هرب زوجها وتركها تواجه مصيرا مجهولا قال أحدهم :

\_ إقتلوا على الفور .. أوامر القائد أن تقتل كل الأسرى .

\_ لكنها على وشك الولادة ياسيدي , قالت الطيبية بأنها ستلد بعد إسبوع فقط . ما فائدتها بعد هروب زوجها لندعها هنا ونعود بعد إسبوع لأخذ جثتها . وافقه الآخر الرأي , ثم رموا بها في باحة القصر الفارغة وأعادوا أسلحتهم الى أماكنها وخرجوا متوعدين بالعودة بعد إسبوع لقتلها هي وطفلها إن لم تمت من الجوع والعطش حتى ذلك الوقت .

سمع أصواتهم وهم يغادرون وصوتها وهي تنتحب ..

بعد أن تبعهم وتأكد من إبتعادهم توجه نحوها قائلا :

\_ لاتخافي .. أنا ذئب ناطق لكنني لن أؤذيك , سأحاول مساعدتك فقط

ياسيديتي .. ثقي بي .

كانت السيدة في وضع لايسمح لها بالرفض أو الخوف أو التفسير ,

بدت خائفة القوى على وشك الموت وهي تهمس :

\_ إنفذ طفلي .. أرجوك ..

\_ أعدك بذلك ..

لم تكن مجرد كلمات نطق بها سنائي .. بل حقيقة واضحة كالشمس وهو يجرح جلده طيلة الإسبوع لتتغذى هي وجنينها من دمه ولعابه لأن المكان مهجور ولاطعام به ولا ماء ..

سرى دم سنائي في جسد الجنين وهو في رحم أمه وتتغذى على لعابه حتى

خرج الى الدنيا يصرخ بعلو الصوت ..  
في ذلك اليوم وضعته الأم الهزيلة وهي تقاوم الموت وقد تذكرت بأن  
الأسبوع إنقضى وبأنهم سيأتون لامحالة ..  
همست متوسلة :

\_ أيها الذئب الشجاع .. إنه إبنك , إبنك أنت .. لقد وهبته لك , لولاك ما  
أتى الى الدنيا ولكننا الآن في عداد الأموات , خذه وأرحل إنه إبنك .  
ثم لفته بقطعة قماش وودعتهما والدموع تملأ مقلتيها ..  
أخذه سنائي ورحل يسابق الريح , لكن قواه خافته ليسقط قرب الطفل في  
المكان المخصص لوضع النفايات بالمدينة ..  
لم تنبقي قطرة دم واحدة بجسده لم يهبها للصغير ..  
وقعت عينيه على حفر متناثرة مليئة بمياه الأمطار , فأخذ يللم ما تبقى  
من عناد و وعد قطعه لأم الصغير وظل يحمل الماء ليسقيه حتى أتت الشرطة  
وأخذتها ..  
لم ينتهي وعده للصغير رغم إنهياره الجريح بين الشباك بأنه لن يتركه  
مادام على قيد الحياة وسيعود يوماً لأخذه ليعيشا معا .

النهاية ...